السيرة الذاتية لدعاة التحرر للمرأة

وأثرها على أفكارها



إعداد

زكى على السيد أبو غضة

أبو غضة، زكى على السيد

السيرة الذاتية لدعاة لتحرر المرأة

وأثرها على أفكارهم

إعداد : زكي على السيد أبو غضة

المنصورة دار الوفاء للطباعة

والنشر والتوزيع ٢٠٠٧ ص١١٤ ، ٢٠سم

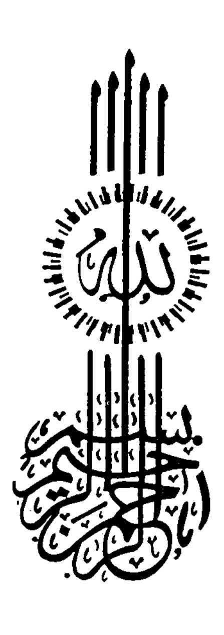
تدمك ٢ ـ ٥٥٧ـ ١٥ـ ٩٧٧

رقم الإيداع :٢٤٤٢٧/ ٢٠٠٧

I.S.B.N- 977-15-557-2

١ ـ المصلحون الاجتماعيون

أ ـ العنوان ٩٢٣,٦



الإهداء

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) ﴾ .

إلى كل فتاة مسلمة حصنت نفسها بكتاب ربها ، وسنه نبيها ، وباللباس الشرعى الذى أمرت به ، إلى كل فتاة لم تغرها دعوات المفتونين والمفتونات بالغرب وأمثاله .

إلى كل هؤلاء أهدى كتابى .

توطئة :

هذه الدراسة هى جزء من كتابنا « عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر » ، وهو هذا الكتاب ضمن سلسلة موسوعة المرأة فى القرن الحادى والعشرين بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر .

ومن المعلوم أن الإعلام والإعلان صورّ دعاة التحرر فى العصر الحديث كأنهم أنبياء يجب اتباع دعواهم واحترام أفكارهم ، فهم معصومون من الخطأ .

وقد عرضنا لسيرهم الشخصية لنثبت بما لا يدع مجالاً للشك هل هم أنبياء أو مصلحون أو مضلون .

وقد رأينا أن نفرد الذكر لواحدة من هؤلاء الداعيات ،هى د / نوال السعداوى لجرأتها الغير المسبوقة ولآرائها الشاذة .

والله الموفق .

المؤلف

زكى على السيد أبو غضة

القسم الأول

أثر الثقافة الغربية وأحداث الطفولة في قاسم أمين وهدى شعراوى

توطئة :

من الظلم القول : أن كل دعاة تحريـر المرأة خطاة وآثمون ،فليسوا جميعا في سلة واحدة فالقليل منهم أخلص فى دعوته لدينه فزرع شريعة الله فى قلبه ، ودعا إليها فى فكره ، فكان ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

ومنهم من تخلى عـن دينه وباع دنياه ، فـاعـتنق مـبادئ جـديدة وأفكاراً غريبة ، ليـست من شريعة الله فى شىء ، ولكنهـا تقليد غربى يهدف تحت اسم براق آخاذ لإشاعة الفاحشة فى بلاد المسلمين .

تحت اسم براق آخـاذ لامع وهو حرية المرأة ، وقد حـزرنا الله من ذلك فـقال جل شـأنه : ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

والواقع أن الدعوة لتحرير المرأة وتحـررها تزامنت مع ما عانته المرأة من ظلم وصل إلى درجـة أن الرجال والصـبيـة الذكور كـانوا يتناولون الطعـام أولاً الزوجات والأمـهـات والأخوات والبنـات تخدمـهم ، ثم تتناولن الباقى من فضلات المائدة وكـانت الأنثى طبقة أدنى من الذكر ، ونسى الجميع أن الرسول ﷺ يقـول : « إن وضع الطعام فى فم الزوجة صدقة » .

كما يلاحظ أن تعـدد الزوجات والإماء كان مـتفشيًا حـيث كثرت الإماء من أسرى الحروب فى عهد الخلافـة الإسلامية ، قبل هزيمة تركيا والقضاء على نظام الخلافة الإسلامية .

والحقيقة أن تفشى الجهل وانحسار التعليم عن الرجال والنساء على حد سـواء قد نال من المجـتمع ، فخلق أمـهات جاهلات لم يـستطعن النهوض بمهامهن كزوجات صالحات ومربيات فاضلات .

وحيث إن الدعوة لتحرير المرأة وتحررها واكبت الاستعمار الإنجليزي لمصر ، فـقد وجـد الإنجليز في تلك الدعـوة بيئة صـالحة لنشـر المبادئ الأوربية العلمانية فى مصر وإزاحة أحكام الإسلام من عقول المسلمين ثم من حياتهم ، ولذلك فـقد اجتهدوا وأنفـقوا الكثير لتـجنيد دعاتهم من الرجال والنساء فى القديم أي بداية القرن العشرين ، وحتى اليوم ، وإن حلت أمريكا محل إنجلترا .

والواقع أن لهـؤلاء الدعاة « أعـوان الاستـعمـار » سمـات كثيرة مشـتركـة ، فكانوا من الأذكيـاء المتقـدمين علميًـا ، وكان لأصـحاب الطبـقات فـوق المتوسطة والعُليـا نفوذ قـد بدأ في الأفـول ، أو ما زال موجـودا ، والكل يعشق الشهـرة ويذوب غرامًا فى الإعـلام فأرادوا أن يستبقوا تلك الشهرة، والبعض منهم ومنهن أصحاب عُقد شخصية ومن هواة التمرد على كل شىء حتى تعاليم الأديان .

وسنعـرض لبعض هؤلاء، لا بغـرض الإساءة، ولكن لمعـرفة كـيف أثرت ثقافاتهم الغربية أو أحداث الطفولة والصبا على أفكارهم ودعاويهم.

أولاً : قاسم أمين

ولد فى « الإسكندرية » فى (ديسمبر ١٨٦٣) م ، وكان من سلالات الأتراك النازحين إلى مصر ، وكان أبوه « محمد بك أمين » ، من كبار الموظفين وله ابن عم كان يعمل واليًا على المنطقة الكردية بالعراق ، منحته السلطات التركية إقطاعية كبيرة فى كفر الشيخ .

حصل « قاسم » على ليسانس الحقوق سنة (١٨٨١) م ، وكان أول الدفعة ، تمرن على أعمال المحاماة لدى « مصطفى باشا فهمى » الذى عمل رئيسًا للوزراء طوال (١٨) عامًا متصلة ، لرضا الإنجليز عنه ، فقد كان من أخلص الرجال للاحتلال الإنجليزى .

أفكار قاسم أمين :

١ ـ تمجيده للغرب والاحتلال :

سافر « قاسم » إلى فرنسا لدراسة القانون ، وقد بهرته أضواء باريس بلد الأناقة والموضة والفنون والبدع ، فلما رآها قال : « تقول العامة : إن مصر أم الدنيا ، والأصح إذا قورن بينها وبين مدن الممالك « البلاد الأخرى » مثل لندن ، وباريس .. أن تسمى « خدامة الدنيا»[١] .

وعلى ذلك فقد تأثر هذا الفتى الأغر ، بفكر الغرب ، وحياة الغرب ، فى شتى مناحى الحياة ، فأثنى على المحتلين الإنجليز ، وقال:

---

(١) محمد جلال كشك : جهالات عصر التنوير ، ص٢٦ .

« نحن اليوم متمتعون بعدل وحرية لا أظن أن مصر رأت ما يماثلها فى أى زمن من أزمانها » ، كما هاجم الثورة العرابية فقال : « كان الجميع يشعرون بالرضا ويحسون أنهم مقبلون على مستقبل ملىء بالوعود الطيبة ، حين ظهر عرابى على المسرح السياسى وأوقف هذه الحركة الرائعة خلال عامين .. »[١] .

٢ ـ فشله فى الحب والغرام :

لا تخلو حياة قاسم أمين من أكثر من قصة حب فاشل ، سواء فى مصر أو فرنسا ، وقد جاء بمقال بجريدة الأهرام للدكتور « صلاح فضل» تحت عنوان « قاسم أمين ، والدراما التاريخية » بتاريخ (١٦/١٢/٢٠٠٢) :

« ونحن مولعون بأن نجعل من شخوص الماضى الشهيرة مثلاً عليا، وننفى عنهم أى إمكانية للخطأ والخطيئة ، بما يحيلهم إلى أساطير غير حقيقية ؛ لأن عظمة البشر تكمن فى أن يظلوا بشراً ولا يتحولوا إلى قديسين وملائكة ، وليست لقاسم أمين فى الوجدان المصرى مثل هذه الحصانة ، فأنصاره من التنويريين يدركون أهمية دعوته وإنسانيتها ، ولو كان مؤلفنا مثلاً قد أقام علاقة غرامية بينه وبين الجارية الحسناء التى

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٨ ، لقد تناسى قاسم أمين أن الجهاد ضد الأجنبى المحتل فريضة دينية : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٩] .

أهديت لأبيه ـ وكانت أول فتاة غريبة جميلة يراها ـ فى البيوت التى تعج بالجوارى ومناورات العشق وصراعات الأجيال لكان أقرب للواقع التاريخى، لكن المؤلف أصر على أن يصوره ملاكًا يرد لهفتها عليه بالتجاهل ويحولها إلى أخته ويدخر هذه المغامرة لزوجها فى المستقبل «خضر باشا » ودعك من أنه حرم على قاسم أمين تقبيل صديقته الفرنسية مع أنه جعلها خطيبته ومشروع زوجته ، مخالفًا مناخ الحياة الفرنسية فى حينها كى يحافظ على هذه الصورة المثالية ، وطبع علاقته بـ«وسيلة» التى قضت على زهرة شبابه وثروته فى الواقع بطابع مثالى ، متوهمًا أنه بذلك يعزز مصداقية دعوته للتحرر وبراءته من الشبهات ، بينما يحرمه فى حقيقة الأمر من الدافع الوجدانى العميق لتحرير المرأة تطلعًا إلى تحرير الرجل وإشباع حسه الجمالى بطريقة نبيلة ومشروعة ؛ خاصة لأن الأعمال الفنية لا تكتفى بتمثيل ظواهر الناس وما يبدون عليه، بقدر ما تعنى بكشف دواخلهم ونزعاتهم الإنسانية الأصلية »(١).

ويبدو أنه قاسى من لوعة الحب والغرام فقد عَرَّفَ الحب : « مرض يقاسى منه العاشق عذابًا ، يظهر باحتقان فى مخه وخفقان فى قلبه ، واضطراب فى أعصابه ، واختلال فى نظام حياته ، ويظهر على الأخص فى الأكل والنوم والشغل ويجعله غير صالح لشىء ، سوى أن يقضى أوقاته شاخصًا إلى صورة محبوبته مستغرقًا فى عبادتها ، ذاكرًا أوصافها وحركاتها وإشارتها وكلماتها ، نظرة من عيون محبوبته تملأ

---

(١) المقال تعليق على مسلسل مصرى شهير ، ووسيلة مغنية تعرف عليها قاسم .

قلبه رضا ، فإذا انقضت عاد إلى ما كان فيه من عذاب وألم» [١] .

٣ ـ إيمانه بشقاء الحياة الزوجية ومعاناته من ذلك :

يقول « قاسم أمين » موضحًا ذلك : « إنى بحثت كثيرًا عن العائلات مما يقال : إنها فى اتفاق تام فما وجدت إلى الان لا زوجًا يحب امرأته ولا امرأة تحب زوجها [٢] .

كما يقول موضحًا رأى الزوجة فى الزوج : « وأنقص الرجال عندها ـ المرأة بصفة خاصة ـ من يقضى أوقاته فى الاشتغال فى مكتبه ، كلما رأته جالسًا منحنى الظهر مشغولاً بمطالعة كتاب جديد غضبت منه ، ولعنت الكتب التى تسلب منها هذه الساعات . . » [٣] .

كما يقول : إن المرأة تحب أن يملك زوجها مال قارون لينفق عليها ، ويكون كامل القوة والفتوة ليلبى رغباتها .

٤ ـ تدهور حالته المالية والاقتصادية :

بالرغم من أن « قاسمًا » كان واسع الثراء وورث والده بما يملك من

---

(١) « تحرير المرأة » : صـ (١١) .

(٢) هذا الادعاء يوضح نظرته المريضة السوداء للأسرة ، فهل يعقل عدم وجود أسرة واحدة سعيدة يتحقق فيها قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

(٣) « تحرير المرأة » : ص (١٣ ، ٤٣) ، ولا شك أن هذا الرأى هو إهانة للمرأة التى يريد تحررها !!

إقطاعيات وأراضى وغير ذلك ، إلا أنه مات مـفلسًا ، ويعتقد أن سبب ذلك إنفاقه على بعض الـصديقات منهن المغنية « وسيلة » كـما جاء فى مقال الدكتور « صلاح فضل » فى جريدة الأهرام المشار إليه سابقًا .

ولذلك ، فقـد أشارت بعض أصابع الاتـهام إلى أنه مات مـفلسًا ومنتحراً ، فقد كتب « سعد زغلول » فى مذكراته بعد وفاة قاسم أمين : « قد تحدث من كانوا فى المكان بالانتحـار ، وسألت الدكتور عباس عن حقيقـة الأمر ، فقال : إنه موت طبيـعى ، ولكن كان فى جوابه شيء من التردد ، وكررت أقوالى عليه فـى الغد ، فأجاب بعد سكوت ـ بأن الموت طبيعى ، وقال : إنما كان عاشقًا » .. ثم قال بعض الحاضرين : إنه أمن على حيـاته فى نظير مبلغ يدفـعه سنويًا مقـداره نحو (٥٠٠) جنيه، وفى حالة الوفاة تلتزم الشركة بأن تدفع للورثة عشرة آلاف جنيه، فقلت : الأحسن أن تخفوا ذلك [١] .

٥ ـ تناقضاته الفكرية :

وكانت شخصيته ، ومن ثم دعوته لا تخلو من بعض التناقضات ، منها عى سبيل المثال :

أ ـ تمجـيـد دعوة تحـرر المرأة فى أوربا حـيث يقـول : « هل يظن المصريـون أن رجال أوربا ، مع أنهم بلغـوا من كمـال العقل والشـعور

---

(١) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » : ص(٢ ، ٤) ، والمرجع : « جهالات عـصر التنوير » لمحمد جلال كشك .

مبلغًا يمكنهم من اكتشاف قوة البخار والكهرباء ، يمكن أن يغيب عنهم معرفة الوسائل لصيانة المرأة وحفظ عفتها »(١) .

ومع ذلك يهجوهم فيقول : « إن الغربيين قد غلوا فى إباحة التكشف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة ، وما لا ترضاه عاطفة الحياء »(٢) .

---

(١) « تحرير المرأة » : ص(٨٩) .

(٢) المرجع السابق : صـ (٦٠) . وهذه الأفكار توضح إيمان قاسم أمين بضرورة اتباع المنهج الغربى ـ رغم عيوبه وتناقضه ـ فى دعواه وهجر شريعة دينه وسنده ذلك حبه الغرب وإيمانه بحضارته أولئك قال عنهم الله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦].

ثانيًا : هدى شعراوى

من مؤسسات دعوة تحرر المرأة وعملها بلا ضوابط ، وهى ابنة محمد باشا سلطان الذى كان من أغنى أغنياء مصر ، ومع ذلك فقد نسبت اسمها لزوجها على باشا شعراوى ، وهو أحد المناضلين مع عرابى ، فهى تدعو لتحرير المرأة وتقلد الغرب فتنسب اسمها لزوجها !!

١ ـ اتهام والدها بمساعدة الاستعمار الإنجليزى :

والدها هو : محمد باشا سلطان ومعروف أنه كان يرافق جيش الاحتلال الإنجليزى فى زحفه على العاصمة ، ويدعو الأمة إلى استقباله، ويهيب بها إلى تقديم كافة المساعدات المطلوبة له ، وقد سجل التاريخ له صفحة خالدة شاهدة بالعمالة والخيانة حينما تقدم مع فريق من الخبراء بهدية من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال شكرًا لهم على إنقاذ البلاد .

وقد قوبلت خدمات « سلطان باشا » من الإنجليز بالإنعام عليه بنيشان « سان ميشيل » ، و « سان جورج » الذى يخول صاحبه لقب سير ، وأشاروا على الخديو بمنحه (١٠٠٠٠) عشرة جنيهًا ذهبيًا [(١)] .

هذا ، وقد دافعت « هدى شعراوى » عن والدها فى مذكراتها ص (١٩ ، ٢٠) فقالت : « وعند دخول الإنجليز مصر ، أراد سلطان

---

(١) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٨٢) .

باشا أن يتحقق إلى أى حد ترمى المقاصد الإنجليزية ، فأكد الجنرال «دلسلى» قائد الحملة أن مهمتهم هى إخماد الفتنة العرابية وحفظ العرش من التهديد ، وبانتهاء ذلك ، تكون مهمتهم قد انتهت وينصرفون إلى بلادهم .

كما تقول مدعية أن عرابى باشا كان قد أمر بأن تؤخذ ممتلكات أبى من غلال وخيل وغيرهما وترسل إلى مخازن الإنجليز ، وبعد فشل عرابى ونفيه إلى جزيرة « سرنديب » ، أمرت الحكومة بصرف (١٠٠٠٠) جنيه لوالدى على سبيل التعويض الرمزى عن الخسائر المادية التى لحقت به .

ولا يغيب عن فطنة القارئ أن تصديق أبيها لأقوال الجنرال الإنجليزى غير معقول ، فنوايا الاحتلال الغربى للشرقى الإسلامى كانت واضحة منذ الحملة الفرنسية ، كما لا يعقل أن يقوم عرابى بإمداد الإنجليز أعدائه بالغلال والخيل والمؤن من خزائن والدها !!!

هذا ولم تتوقف الخيانة على تموين الأعداء بكامل تجاوزت ذلك بمساعدة الأعداء على نشر الخيانة والفساد فى صفوف الجيش ومؤازرته خططيًا لكسب الحرب :

مساعدة والد هدى شعراوى « سلطان باشا » الإنجليز فى الحرب ، يقول الإمام محمد عبده عن ذلك تحت عنوان خيانة سلطان باشا :

فى ٢٧ أغسطس جاء خبر بأن فارسين خرجا من الإسكندرية وتوجها من الناحية الشرقية من البحيرة وهما بدويان من قبيلة « أولاد

على » . . . فقبض عليهما ، ووجد معهما منشورات من سلطان باشا ورسائل منه إلى رؤساء قبائل وبعض الضباط يدعوهم إلى ترك عرابى والالتحاق بالجيش العثمانى الذى جاء لإخضاع العصاة .

عرف سلطان باشا أن توزيع النقود باسم الإنجليز لا يفيد ، فأخذ فى التوزيع باسم الخديو والسلطان ، واختر لبث الأفكار « الحاوى الطحاوى » أحد ثقات عرابى ، فكان الحاوى يعظ إخوانه العربان بعصيان عرابى ، وقوة الجيش المحارب ، ونحو ذلك .

وفى واقعة « القصاصين » . . . كانت العساكر المصرية يجب أن تزحف الساعة الثانية بعد نصف الليل على الجيش الإنجليزى ، وما راع القواد المصريين إلا وجود الفرق الإنجليزية زاحفة وآخذة جميع الطرق فى الساعة واحدة ، وانهزم الجيش المصرى ، وما ذاك إلا من الجواسيس العربان ، وكانت الخيانة وصلت والنقود قد وصلت إلى قلب الجيش وإلى كثير من الضباط بسعى سلطان باشًا ومراسلة العربان.

ويقول الإمام محمد عبده عن سلطان باشا والد هدى شعراوى . سلطان باشا :

فهذا الهمام الوطنى الذى أوقد نار الفتنة فى البلاد ، وجمع لها وقودها وحطبها حتى امتد لهيبها وعم جميع الأنحاء ، ثم هرب من طريقها عندما خاف أن يلدغه لسانُ لهبها ، جاء فى آخر الأمر نائبًا عن الحضرة الخديوية فى حبس كثير من الناس ، ولم يفرق بين الأبرياء وغيرهم ، نال المكافأة من الجناب العالى . أنعم الخديو توفيق على

سلطان باشا بعشـرة آلاف جنيه عقب احتلال الإنجليز للبـلاد لقاء تخليه عن الثورة وخذلانه للعرابيين .

لقد نال مـالاً جزاء إيقاد الفتنة ثم الهـرب منها ليتعلم كـل مصرى هذه الطريقة المفيدة لكسب الشرف ونيل الإحسان أولاً وآخراً !!

إلا أن العدل الإلهى سيقوم بمجازاته حق المجازاة على ما صدر منه أول الأمر وآخره : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان][(١)] .

٢ ـ اتهام جدها بمساعدة أعداء البلاد :

تقول « هدى » أنهـا سألت خالهـا عن سبب هجرتهم إلى مـصر فقال :

« عندما نشبت الحرب بين الجراكسة وروسـيا القيصرية حوالى عام (١٨٦٠) م ، دافع الجراكسـة من القوقاز بكل شجاعـة وبسالة ، وكان جـدى لأمى أحـد القـواد المشـهـوريـن ، وكـان يدعى « شـار ألوقـة جوانيش»، وكان هو الذى يقود المعركة فى القرم ، وأثناء الحرب هزمت فرقـته ووقع أسـيراً ، وكـان له بين القواد المعـروفين خصم هو القـائد الداغسـتانى الشهـير « الشيخ شـامل » فانتهـز هذا القائد فرصـة أسره

(١) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ / محمد عبده ، تحقيق وتقديم د / محمد عمارة ، ١ ٤٨٦ ، ٤٨٨ دار الشروق .

للتشهير به ، وأشاع أنه انضم إلى الروس وخان بلاده . .

ثم تكلمت عن خطة شاركت فيها ابنة أخيه وتسمى « حورية » لتخليص والدها من الأسر ، حيث نجحت « حورية » ومن معها فى تخليصه ، ولكنه قتل فى معركة مع الروس خلال مطاردته [١] .

٣ ـ مشاكل هدى شعراوى العائلية :

من واقع مذكراتها [٢] يتضح أن أباها مات ، وهى صغيرة السن ، وكانت أمها قد ماتت قبله ، فتزوج من سيدة فاضلة كانت تحنو عليها ، وترى فيها نعم الأم ، وكان مشكلتها العظمى هى إحساسها بتفضيل أخيها ـ وكان معتل الصحة ـ عنها ، مما سبب لها أزمة نفسية عانت منها، فسألت زوجة أبيها عن ذلك فقالت : « إنك فتاة وهو غلام وأنت لست الفتاة الوحيدة ، وهو الولد الوحيد الذى عليه عمار الدار ، أنت عندما تتزوجين ، ستذهبين إلى منزل الزوجية وتحملين اسم زوجك ، أما هو فسيحيى اسم أبيه ويفتح بيته» .

هذا ، وقد مرضت هى وأخوها فى وقت واحد ورأت اهتمام الكل حتى الطبيب به ـ كان ضعيف البنية والصحة ـ وتقول واصفة شعورها : « وقد أثر فِىَّ ذلك كثيراً ، وارتفعت الحمى من فرط تأثرى ، ولكن

(١) لقد نسيت هدى ووالدها قول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ [الممتحنة : ١].

(٢) مذكرات رائدة المرأة العربية ، هدى شعراوى ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

أحداً لم يهتم بأمـرى ، وقد زادتنى هذه التجربة المريرة انكماشًـا وحقداً على من حولى ، فـصرت أقضى معظم أوقات الفـراغ بعد الدرس فى حديقتنا ، وكنت أحب الحيوانات [١] .

٤ ـ مشاكل « هدى شعراوى » الزوجية :

أما المشكلة الثانيـة والهامة والمؤثرة على حياة محـررة المرأة العربية وإحدى رائدات التنوير ـ كـما يقال ـ فهى عـلاقتها بزوجـها « على بك شعراوى » .

وتبدأ العلاقة بعد وفاة أبيها ، حيث أصبح « على بك » ابن عمتها هو الوصى على العائـلة والقائم بإدارة أموال وممتلكات والدها ـ رحـمه الله ـ وتقول هدى عنه :

« وعندما كـان يحضر « على بك شـعراوى » الوصى علينا وناظر وقف والدى ، كـانوا يأخذونـنى أنا وأخى للسلام عـليه ، وبعـد ذلك كنت أتحاشـى الذهاب إلى السلا ملك « حـجرة الضيـوف » ؛ لأنّه لم يكن يلتفت إلىَّ على الإطلاق ، وكـان يوجه كل حديثه واهتـمامه إلى شقيقى الذى كان يحبه كثيراً » [٢] .

---

(١) « مذكـرات رائدة المرأة العربية » : « هدى شـعراوى » : ص(٤١ ، ٤٢) . وهذا الأمر يوضح سـبب حقـد هدى على الذكور ، حتى إنهـا هجرت أخـاها وانصرفت بعاطفتها للحيوانات .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٣٤) .

أ ـ زواجها المفاجئ من « على شعراوى » :

ورغم هذا التنافر فقد تقدم « على بك شعراوى » للزواج منها وتقول عن زواجها :

« فقد حدث عندما كنت فى دور النقاهة من مرض ألم بى ، وكانت والدتى تجلس بجانب فراشى فغلبنى النعاس ، سمعت خالتى تقول : إنه ـ أى عريسى ـ من رجال القصر الملكى ، سيأخذها رغمًا عنك ؛ لأنَّه سيطلبها من الخديوى ، فردت عليها والدتى قائلة : وهل ابنتى بلا عريس !! إننى سأزوجها من ابن عمتها « على شعراوى » فقالت خالتى : حرام عليكِ أن تفعلى ذلك ، وتزوجى هذه الطفلة من رجل له أولاد أكبر منها سنًا ، وشعرت كأن الغرفة تدور بى » [1] .

هذا ، ولم تعرف « هدى » أنها ستتزوج من « على شعراوى » إلا فجأة بالرغم من الاستعداد الدائم فى منزلها لذلك : « ففاجأنى « على بك فهمى » قائلاً : إن ابن عمتك « على بك شعراوى » يريد الزواج منك ، فمن توكلين عنك ؟! فى تلك اللحظة بالذات ، فهمت معنى كل تلك الاستعدادات ، وأخذت أبكى وأنا مولية لهم ظهرى ، ولما طال وقوفهم ، تقدم « سعيد أغا » أحد الخدم ، وهمس فى أذنى : أتريدين إغضاب زوج والدك والقضاء على والدتك المريضة ، فقلت لهم: افعلوا ما تشاؤون ، وكان سبب عدم رغبتى فى الزواج منه هو

---

(١) « المرجع السابق » : ص(٧٣) .

أننى شببت أراه عميدنا والمشرف على شئوننا إشراف الأب أو الأخ الأكبر الذى يجب أن أخشاه وأحترمه ، ثم أتذكر أنه أب لثلاث بنات يعشن معه ومع أمهن ، وإن ابنته الكبرى كانت تعيرنى بأننى سأكون زوجة أبيها ، ثم أتذكر أيضًا أننى كلما ذهبت لتحيته ، لم أجد منه تلطفًا فى الحديث على خلاف معاملته لأخى . .

ب ـ تعاستها من هذا الزواج :

كما تقول عن اليوم الثانى لزواجها : « وفى صباح اليوم التالى ، نظرت من نافذة غرفتى عن نفسى بمشاهدة السرادق الكبير المزين بأفخر الأبسطة والرياش والأنوار الزاهية التى خلبتنى فى الليالى الماضية ثلاثة أيام الاحتفال بالعُرس ، ولكننى انقبضت عندما رأيت أيدى الهدم تعمل فيه ، كما وجدت أرض الحديقة التى كان منصُوبًا عليها خالية من تلك الأشجار العديدة التى كنت أحبها ، بكيت على أشجارى ، وبكيت على طفولتى ، ورأيت فى تلك الحديقة الجدباء ، صورة من الحياة التى سأعيشها منفصلة عن كل ما كان يؤنسنى ويسلينى »[١] .

وباقى القصة يتضح منها اختصارًا أنها ـ حسب قولها ـ آنست لزوجها لرقته ورعايته لها ، ولكنه فجأة تغير ، حيث عاد لزوجته الأولى بعد أن كان قد طلقها ، مما جعل « هدى » تنفصل عنه لمدة سبعة سنوات ، خفف عنها ما ذكرته بقولها « وكان تعلقى

---

(١) « مذكرات رائدة المرأة العربية » : صـ (٧٧ ، ٨٤) .

بالموسيقى وحبي للألحان الإفرنجية يدفعني إلى قضاء أغلب سهراتي وأنا أعزف على البيانو »[١].

(١) يبدو تأثرها بالثقافة الغربية واضحًا في هذه الفقرة ، فهي لم تلجأ إلى قراءة القرآن أو سماعه ليطمئن قلبها ، ولكنها لجأت إلى الموسيقى الغربية والبيانو .

ثالثًا : درية شفيق

إحدى الناشطات الداعيات لا لتحرير المرأة ولكن لتحررها [١] ، متأثرة فى ذلك بما اكتسبته من ثقافة أجنبية نتيجة لدراستها فى المدارس الأجنبية منذ نعومة الأظافر حتى الدكتوراة من فرنسا ، وأيضًا التأثر بمعتقدات خدمها أصحاب الديانات المتنوعة ، ويمكن القول : إنها مسلمة أسفرت وجهها وبعض جسدها استجابة لأفكار علمانية غربية .

وقد نشطت فى نشر دعوتها فى الداخل وكانت رئيسة اتحاد بنت النيل .

١ ـ الظروف العائلية المحيطة بنشأتها :

إذا كان النبات يتأثر المحيطة به التى قد تثبت جذوره وتقوى ساقه وتكثر أوراقه ، وتنضج ثماره ، أو تهلكه ، فإن بيئة نشأة الإنسان أقوى كثيرًا فى نمو عقله واتساع مداركه وتنوع مفاهيمه وتباينها بين الصلاح والضلال .

ولدت « درية شفيق » (١٤ / ٩ / ١٩٠٨) والدها « أحمد أفندى » شفيق ووالدتها « رتيبة ناصف بك » أى أن عائلة والدتها أكبر مكانة اجتماعية وتفوق عن عائلة الأب ، وفرضت مثل هذه الزيجة على رتيبة وأحمد بسبب ضغوط اقتصادية وثقافية مرتبطة بظروف ألمت بأسرة جدة درية لأمها [٢] .

---

(١) مرجعنا كتاب : « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م .

(٢) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م .

ويمكن تلخيص هذه الظروف من واقع سيرتها الذاتية :

- جدتها لأمها تسمى « خديجة » ورثت عن أبيها الكثير من الثروة وتزوجت برجل غنى عمره ضعف عمرها تقريبًا ، فقد تزوجت بنت اثنى عشرة سنة فقط ، ورزقت بثلاث وترملت وهى فى العشرين من عمرها ، فعاشت مع بناتها عند أخيها صاحب الحظوة والمكانة والثراء دون زواج - كان المجتمع يرى فى زواج الأرملة الثرية عاراً .

- قرر الأخ زواج بنات أخته اليتيمات ، لأزواج لا مانع أن يكونوا أقل ثروة أو مكانة اجتماعية ، وحيث إنه المهيمن والمدبر لثروة أخته وبناتها ، فكان من المناسب أن يفكر فى زواج بنتين من بنات أخيه على أن يقيما معه فى قصره توفيراً للنفقات فزوج الكبرى لضابط بالجيش اسمه « على شفيق » الذى لم يكن فقيرا ولكنه لم يكن ثريًا يملك الأرض أو الجاه .

وزوج الأخت الصغرى « رتيبة » لأخ الضابط ويسمى أحمد شفيق الذى كان طالبًا مفلسًا بالجامعة ينهى دراسته فى المهندسخانة « تعرف بكلية الهندسة الآن » .

ولكن القدر كان بالمرصاد فمات الضابط فى حادث وبالتالى ظهرت النية لفسخ زواج أخيه من رتيبة حيث لم يصبح زواجًا متكافئًا بعد موت أخيه الضابط .

ولكن خديجة « أم رتيبة » وخالها لم يوافقا على إلغاء العقد ،

فذلك معناه أمـام المجتمع طلاق يعود على الأسرة بالعار ، وفـيما بعد شرحت خديجة « الجدة » الموقف لحـفيدتها « درية » قائلة : « لما وازن الباشا « خالها » الخيارين ، إمـا الزواج من رجل فقير من طبقة أدنى أو عار الطلاق على الأسرة ، قرر أن يقبل أباك باعتباره أهون المصيبتين .

وأصبح هذا التفارت الطبقى مـصدر ألم للطفلة المرهفة التى كانت تشعر أن كل من حولها يعتبر أباها أقل مستوى من أمها سليلة الحسب ، كان يحيط بأمى إحساس صـامت بالهوان ، فكانت تشعر بأنها أقل من بنات خالها اللاتى تزوجن بالأثرياء من مُلاَّك الأرض .

كبرت درية فى منزل محوره النساء ، فلقد عاشت مع أمها وجدتها وخالتهـا حكمت وابنة خالتها اليتـيمة زهرة ، فخالتهـا « حفيظة » التى فقدت زوجها بعد زواج أسابيع قليلة ، سرعان ما لحقت به ، وهى تلد ابنتهـا هذه ، ثم جيش من الخدم منهم زينب ، وبديعة المربيـة السورية التى كانت تتكلم الفرنسية [١] .

ـ تأثر « درية شفيق » بالتعليم والثقافية الأجنبية [٢] :

الملاحظ أن كل مراحل تعليمها وشهادتها من مدارس أجنبية .

التحقت بمدرسة الإرسالية الفرنسية « نوتردام دى أبوتر » ، وكانت المدارس الأجنبية ، وخـاصة مدارس البعثات الفـرنسية تلعب دوراً بارزاً

---

(١) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : ص (٦/٢) بتصرف

(٢) « المرجع السابق » : ص(٢) .

فى تعليم طبقة معينة من النساء المصريات . . وكان أكثر من نصف الفتيات فى أرجاء البلاد مسجلاً فى مدارس أجنبية علمانية ـ قبطية أو يونانية أو يهودية ـ وكان عدد المدارس الفرنسية يبلغ ثلاثة أضعاف المدارس الإنجليزية رغم الحماية البريطانية على مصر ، وقبيل نهاية الحرب العالمية الأولى أصبح من المقبول اجتماعيًا وثقافيًا لدى الأسر المسلمة من الطبقة الوسطى إلحاق بناتها بالمدارس الأجنبية ، ولكن الهدف من ذلك لم يكن إعداد الفتاة لحياة مستقلة ، وإنما مدها بما يلزمها لجعلها « سيدة صالون » حتى تصبح مرغوبة لزيجة جيدة ترتبها الأسرة (١) .

هذا ، وقد التحقت بمدرسة القديس « فنسان دى بول » الفرنسية للحصول على شهادة « بريفى » ثم التحقت بمدرسة الليسيه الفرنسية لنيل شهادة البكالوريا ، ثم حصلت على الدكتوراه من جامعة «السربون» بفرنسا .

وهكذا ، نرى أن « درية شفيق » استقت ثقافتها العلمانية من التعليم الأجنبى داخل مصر وخارجها .

ـ مظاهر التأثر بالثقافة الأجنبية الغير إسلامية :

كان من السمات الشخصية للدكتورة « درية شفيق » التقليد الأعمى لبعض العادات والتقاليد الغربية ، والتى تتعارض مع أحكام الإسلام

---

(١) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : ص (١٢) .

وتتنافر مع تقاليدنا الشرقية العربية ، ومن ذلك :

*** اشتراكها فى مسابقة جمال مصر :**

فى صيف (١٩٣٥) نظمت بالإسكندرية مسابقة ملكة جمال لاختيار فتاة تمثل مصر فى مسابقة ملكة جمال العالم ، هناك خمسون فتاة متسابقة ، مساء السبت (١٥/٨/ ١٩٣٥) ، استعرضتهن لجنة التحكيم لمدة عشر أو اثنتى عشرة ساعة ، امشى ببطء ، اكشفى عن ساقيك ، اختيرت « شارلوت واصف » ملكة ، وذهبت بعد ذلك إلى باريس حيث توجت ملكة جمال العالم لعام (١٩٣٥) ، وجاء اختيار درية كوصيفة أولى لا لجمالها فحسب ؛ بل لأنها أول مسلمة تشترك فى مثل هذه المسابقة [١] .

ـ رد فعل المجتمع لاشتراك درية فى مسابقة ملكة الجمال :

رد فعل خطيبها « أحمد الصاوى محمد » تقول درية : « وجاء لزيارتى وفى يده لفافة صغيرة ، ظننتها هدية ، وذهلت عندما فتحتها؛ إذ وجدت صورة فوتوغرافية التقطت لى فى المسابقة ، وأنا ألبس ثوب عارى الكتفين ، وإن بدت الصورة وكأنى عارية تمامًا ، فالتفت إلى قائلاً : إن لم تعطنى النقود ستنشر هذه الصورة على صفحات الجرائد، ولن تستطيعى السير فى الشوارع إلى الأبد [٢] .

---

(١) « المرجع السابق » : ص(٧٠ ، ٧١) .

(٢) امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : ص (٧٢) ، ومنها يتضح أن=

ـ انتقاد المدارس ودفاع والدها الخاطئ :

جاءتها خطابات من مدرسيهـا القدامى فى مدارس إرساليات طنطا والإسكندرية ينتقدوننى ؛ لأننى تصرفت بأسلوب لا يليق بتنشئتى وشنوا علىَّ حملة ضارية ؛ أقسى ما جاء فيها : « أننى فتاة مسلمة تصرفت بما يتعـارض والإسلام ! . . هب والدى للدفـاع عنى مؤكـدًا لى أن تلك الحملة المشيئة لا علاقة لها بالإسلام ، وشرح لى أن روح الإسلام الحقة فياضـة بالحرية والتسامح ، وبأن الإسلام لا يعارض الجـمال ، وأضاف مقتبسًا من القرآن أن الرسول وصف فيه بأن أجمل خلق الله » [1] .

ـ التشكك والتردد فى فهم الذات الإلهية :

نتيجة للدراسة فى المدارس المسيحيـة والتبشيرية ، وكذلك معاشرة

=الصورة كانت فاضحة إلى حد ما ، وهذا الأمر يتعارض مع أحكام الدين والعرف، وهذا يوضح عدم مـعرفتهـا لأحكام الإسلام ، وليس معنى أن روح الإسـلام الحرية والتسـامح ، ألا نتمسـك بالفضـائل الأخلاقـية ، ونشـيع حرية العرى ، ثـم حرية الجنس، والرسـول الذى وُصف بأنه أجـمل خلق الله لم يصـافح امرأة غـريبة بيـده مطلقًا.

(١) امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسـرة لعام (٢٠٠٣) م : ص(٧٢) ،وهذا ما يقع في كثير من المسلمين اليوم فى الخلط بين التسامح والتفريط، ولا سيما فى الأسر الغنية المترفة الذى تصل درجة الترف إلى التتخلى عن الكثير من قيم الغيرة المحمودة والنخوة تحت شعارات زائفة هى التسـامح والحرية وما هو إلا انحلال لايعلم مدى عواقبه إلا الله عز وجل

خدم مختلفى الديانة ، ولقرب سكنها من بعض الكنائس تشككت درية فى الذات الإلهية ، وجاء عن ذلك : « انشغلت درية بمحاولة فهم ماهية الله ؛ إذ تعددت تفسيرات المحيطين بها للذات الإلهية ، فهناك إله زينب « خادمة » التى كانت دائمًا تمزج اسمه بأسماء العديد من أسماء الجان والأرواح حماية لنفسها من عين الحسود ، وتأكيدًا لصدق قولها ، وهناك رب المربية المسيحية وكنيسة الراهبات الذى أمكن أن أتخيله فى صورة بشرية بفضل الرسومات التى كنت أراها على الزجاج الملون ، وهناك أيضًا إله جدتى التى كانت تصلى خمس مرات فى اليوم لشخص غير مرئى تطالبه بانتظام بعد كل صلاة بأن يحفظ ابنتيها الباقيتين ، أما أمى فنادرا ما كانت تذكر الله ، ولكن درية آمنت أن جمال أمها دليل على وجوده ، وأخيرًا كان هناك إله أبيها التقى الورع أقواهم جميعًا هذا الرب الذى لا يغفر [1] .

وهى تقول : « صوت الكنيسة يحرك ذكرى مجد قديم ، أما تراتيل الكنيسة فكانت تملأنى بعظمة المجهول ، فوراء تلك النوافذ ذات الزجاج المفعم بملايين الألوان « ما زلت أراها ! » يقع عالم الأحلام ، ولم يكن يسمح لنا كطالبات مسلمات دخول الكنيسة ، وبالتالى فلم أرها من الداخل الذى كان يخفى أحلامى العريضة ، كانت موسيقى

---

(١) « المرجع السابق » : ص (١٠) ، والفقرات توضح أنها لم تواظب على الصلاة كمسلمة كما أن فهمها لله بأنه لا يغفر ، هو خطأ شديد وجهل برحمة الله ، وواسع مغفرته ، فهو القائل « ورحمتى وسعت كل شىء » .

الكنيسة تحمل إلى رؤية جديدة ولغة جديدة [١] .

وذكرت « درية » : أن خادمتها « زينب » أخذتها لمولد السيد البدوى بطنطا وقالت: « جلست أستمع إلى الإنشاد الدينى الذى حملنى بعيداً عن الجموع ، ولم أكن قد سمعت تلك التواشيح من قبل، فبدت وكأنها تنبثق من أعماقى ، فتذكرت كنيسة المنصورة التى كنت أرافق مربيتى إليها كل أحد حتى اكتشف أبى ذلك فمنعه ، وامتزجت تراتيل الكنيسة بالإنشاد من القرآن ، فشعرت برحمة الله التى لا حدود لها ، وذكرنى إيمان زوار السيد البدوى بإيمان أبى العميق وتأثرت كثيراً»[٢] .

والأفكار السابقة توضح التردى الفكرى والتردد الإيمانى لـ « درية شفيق » ، وعدم إيمانها الكامل باعتناق دين خاص ، فلم تكن مستقرة نفسيًا وعقائديًا، مما سهل لها اعتناق أفكار ومبادئ الغرب اللادينية «العلمانية » .

ـ التمرد على القيود والثورة على الأعراف الاجتماعية :

تقول « درية شفيق » عن نفسها : « كنت أحب الحرية والاستقلال فى العمل إلى حد جعلنى أكره أن أقوم بالرياضة البدنية ؛ لأنى كنت

---

(١) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : ص (١٧) ، والفقرة توضح فتنتها بزينة وموسيقى الكنائس .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (١٤/١٥) .

مضطرة فيها أن أخضع لما يلقى على من الأوامر دون فكر أو مناقشة ، ولهذا كنت أسخر من تلك الأوامر ولا أنتظم فى اللعب مع باقى زميلاتى » [١] .

تمرد « درية شفيق » على الخطبة والزواج :

وفقًا لما جاء فى مذكراتها ، فقد خطبت أكثر من مرة وتزوجت مرتين إحداهما وفقًا للأعراف السارية والأخرى والتى استمرت إحدى وثلاثين سنة فيها بعض التمرد .

خطبة درية الأولى :

خطبت لطبيب غنى يدرس فى ألمانيا ، وتقول عند وضع الدبلة فى أصبعها : كانت إيذانًا بانهيار كل أحلامى بمستقبل من الحرية ! وكأنهم أوصدوا بابًا على المجهول بكل كنوزه الخفية ، حزنت وشعرت بأن الزواج مجرد مخرج فى ظروف عصيبة [٢] .

خطبة درية الثانية :

خطبت لمهندس شاب غنى ، لم يرق لها عندما رأته ، وتقول : وكأننى فى السوق أساوم على جوهر حياتى نفسها ، وتقول : « أنها وافقت عليه حيث قدم لها خاتمًا كبيرًا من الماس وغيره من الحلى «مصداقًا للعهد » ، فلما رأت تلك الهدايا انتابها شعور بأنها باعت

---

(١) « المرجع السابق » : ص(٧١) .

(٢) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : ص(١٩) .

نفسها بالفعل عندما قبلت الزواج بلا حب ، وفى النهاية فسخت الخطبة رغم حبه الشديد لها [١] .

ـ الزواج الأول لـ « درية شفيق » :

تزوجت الكاتب الصحفى « أحمد الصاوى محمد » .

درس « أحمد » الصحافة فى باريس ، وحصل على شهادة من جامعة السوربون ، التقت به درية بمناسبة مسابقة ملكة جمال مصر ، وكان من الذين يحيطون بـ « هدى شعراوى » .

كانت الخطبة حدثًا كبيرًا ، حتى إن صورة العروس وزوجها ظهرت لأول مرة فى مصر على الصفحات الأولى .

يقول : « مصطفى أمين » عن « أحمد الصاوى محمد » : «الصاوى ليس وسيمًا ، ولكن كتاباته عن الحب والهيام والجمال صورته فى خيال القارئات فى صورة أحلامهن عن روميو أو فالنتينو أو كلارك جيبل ، حفل الزفاف تم فى الإسكندرية ، فى قصر « هدى هانم شعراوى » زعيمة الحركة النسائية فى مصر ، ولكن الزواج الذى أثار تلك الضجة لم يدم طويلاً ، والواقع أن الطلاق تم قبل أن تزف العروس ، فأحمد الصاوى كان صعيديًا فى غلاف أوربى ، ولِدَ فى

---

(١) « المرجع السابق » : ص(٦٦) ، ونفس الأفكار يرددها دعاة التحرر الآن فيرون فى الشبكة والمهر ثمن استغلال المرأة جنسيًا ، وكأنها عاهرة . انظر كتابنا : « الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان ودعاة التحرر » ، مكتبة الشروق الدولية .

أسوان وتعلم فى باريس ، كان متحرراً فيما يكتب ، متزمتًا فى بيته ، أما « درية شفيق » فقد تأثرت بدراستها فى السوربون ، وطالبت للمرأة المصرية بكل ما للمرأة الفرنسية من حقوق ، أرادت أن تدلى بصوتها فى الانتخابات ، وأن تقدر على تمثيل بلادها وتولى الوزارة ، ولم يكن الصاوى يعارض أن تتولى الوزارة أو السفارة أى امرأة مصرية ، ما عدا زوجته ، فمكانها البيت (١) .

ـ زواج « درية شفيق » الثانى :

تزوجت الدكتور « نور الدين رجائى » سنة (١٩٣٧) وطلقت سنة (١٩٦٨) وانجبت منه بنتين ، وقد تزوجته فى فرنسا أثناء الدراسة دون أن تستشير أهلها أو أهله ، « أى : زواج عصرى » ، وكانت تكبره فى السن ، وقد أنفق عليها زوجها أموالاً طائلة ، لتحقيق أهدافها ، واضطر « نور » زوجها إلى مضاعفة ساعات عمله فى مكتبه الخاص كمحام ليمول مشاريعها وتكاليف حياتها العامة ، إلى جانب احتياجات البيت وابنتيه ، وأثيرت شائعات عن أنه اتخذ عشيقته ، ولم يعد يقضى وقتًا طويلاً فى بيته الذى أصبح لا يطاق كله مناقشات حول عمل درية بالسياسة ، وإنفاقها على حركتها النسائية ، إنها كانت تبحث عن المجد والشهرة فقط (٢) .

« درية شفيق » والحُب :

أحبت أكثر من مرة كما جاء بمذكراتها حتى أنها طُردت من البعثة

(١ ، ٢) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : ص(٧٣) .

للحصول على الدكتوراه من فرنسا ، وذلك لاتهامها بالتسيب وسوء السمعة ـ والله أعلم ـ بحقيقة الأمر ، إلاَّ أنها وسطت البعض لاستكمال البعثة وجاء عن ذلك .

تعلقت بمدرس بلجيكى كان يعطيها دروس خصوصية فى البيت ، وكان وسيمًا ، وشعرت لأول مرة فى حياتها بما يسمى الحب ، وتقول: « اقتحمت قلبى مشاعر غامضة منذ الدرس الأول موسيقى عذبة للغاية ومشبوبة بالقلق اجتاحت قلبى . . »[1] .

كما تعلقت بشاعر فرنسى أثناء دراستها بالسوربون « وبفضل الشعر تمت بينهما صداقة حنونة ، أصبحت بدورها مدخل درية إلى عالم الفن فى باريس ، ولكنها لم تشعر بالحرية الكاملة فى علاقتها به » ، ومرجع ذلك الخوف على سمعتها ، حيث نبهها مدير البعثة بأن أى علاقة تؤدى إلى ذلك معناها إلغاء البعثة والدراسة ، وفعلاً أبلغها المدير بطردها ، فلجأت إلى السكن فى الدار الدولية التى كان من تعليماتها : أى فتاة تعود إلى الدار بعد منتصف الليل ستجد الأبواب موصدة ، ولم يرد ذكر أى شكل من أشكال العقاب ، فما على الفتاة التى تريد أن تتأخر سوى أن تبيت خارج الدار يا له من تحرر[2] .

---

(١) « المرجع السابق » : ص(٢٤) .

(٢) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : ص(٤٠ ، ٥٢) .

ـ التمرد على الرئيس « جمال عبد الناصر » ، ونهاية « درية شفيق»:

درية شفيق دخلت السفارة الهندية لتضرب عن الطعام احتجاجًا على اثنين من أعداء حريتها الإنسانية ، ووجهت بيانًا بالعربية إلى «جمال عبد الناصر » ، والآخر باللغة الفرنسية إلى الأمين العام للأمم المتحدة ، جاء فيه : « نظرًا للظروف العصيبة التى تمر بها مصر ، قررت بحزم أن أضرب عن الطعام حتى الموت بغية نيل حريتى الخارجية والداخلية ، وأنا كمصرية وكعربية أطالب السلطات الدولية بإجبار القوات الإسرائيلية على الانسحاب فورًا من الأراضى المصرية ، والتوصل إلى حل نهائى لمشكلة اللاجئين العرب ، ثانيًا : أطالب السلطات المصرية بإعادة الحرية الكاملة للمصريين ، رجالاً ونساءً ، وبوضع حد للحكم الديكتاتورى الذى يدفع ببلادنا إلى الإفلاس والفوضى ، وأنا وحدى أتحمل مسؤولية التخلى عن حياتى من أجل تحرر بلادى تاركة ورائى زوجى الدكتور « نور الدين رجائى » وابنتى ، فإذا مسهما شىء ، فإنى أحمل الرأى العام العالمى مسؤولية ما قد يترتب على ذلك » [1] .

وكانت النتيجة هى تحديد إقامتها فى بيتها، حتى حاصرتها الأمراض النفسية وهجرها جمهور المعجبين بدعوتها ، وانحسرت عنها الأضواء حتى انتحرت عام (١٩٧٥) ، بإلقاء نفسها من مسكنها بالدور السادس .

(١) « المرجع السابق » : ص(٢٨٥ ، ٢٨٦) .

وقد وصفت بعد توبتها بما يلي:

ـ تلك المرأة التى وصفت : طويلة ، ونحيلة ، وأنيقة ، مقوسة الحاجبين ، وعلى جبينها قُصَّة ، فـ « درية شفيق » أشبه بعارضة أزياء فرنسية منها بمناضلة من أجل حقوق المرأة ، ولكن جمالها يخفى روح فارس عربى [1] .

---

(١) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : صـ (٢٢٦) ، والوصف بوضح السفور والزينة التى تخرج نهائيًا ، وباتفاق العلماء ، عن تعاليم الإسلام .

رابعًا : « نبوية موسى » [١]

من أوائل من اهتموا بتعليم البنات وتربيتهن على أسس قويمة من العلم النافع والأدب الجم منادية بضرورة الحجاب المناسب ، والذى يتمشى مع الآراء السهلة الميسرة لتعاليم الإسلام ، وكانت هى القدوة فى القول والأسوة فى العمل ، ولم يعرف عنها تأثر بثقافة أجنبية أو إيمان بالدعوة إلى نشر مبادئ غربية أو التشجيع على ذلك .

نشأتها :

مواليد (١٧/ ١٢/ ١٨٨٦) ، والدها ضابط جيش توفى قبل مولدها بشهرين ، توفيت (١٩٥١) ، أول مصرية حصلت على البكالوريا عام (١٩٠٧) ، أول من عملت مدرسة لغة عربية ، وأول ناظرة مصرية .

عمرها ثلاث عشرة سنة ، وتقول عن إجابتها فى امتحان اللغة العربية لدخول الصف الثالث للمدرسة السنية : وقد تعجب المعلمون من رداءة الخط وجودة إنشاء لا تستطيعه طالبة فى المدارس الثانوية وخط لا تكتبه تلميذه فى السنة الأولى الابتدائية .

وفى الحساب برعت فى حل ثلاث مسائل ، كان واضعهم يتوقع فشلها فى حل أى منها [٢] .

آمنت « نبوية موسى » بضرورة تعليم البنات لهدف أساسى هو أن

---

(١) مرجعنا هو كتابها : « تاريخى بقلمى » ، مكتبة الأسرة ، سنة (٢٠٠٣) م .

(٢) « المرجع السابق » : ص (٣٣) .

تكون زوجة صالحة وأم بارة مربية فاضلة ، ويبدو ذلك فى قصيدة ألفتها « نبوية موسى»، وألقتها وهى تلميذة أمام خديو مصر، ومن أبياتها(١):

ما ضر أهل الشام إلا أنهم ... تركوا النساء وراءهم وتقدموا

فانحطت الأبناء بالأم التى ... جهلوا مكانتها العلية فيهم

جهلت بأحوال الحياة فأوقعت ... أبناءها فى شر ما تتوهم

قد عودوها الجبن من عهد الصبا ... فتعلم الأبناء ذاك وعُلِموا

وتسارعوا للعار فى أعمالهم ... والفسق والبهتان أن يتكلموا

إيمان نبوية موسى بالمساواة بين الرجل والمرأة كما جاء فى تعاليم الإسلام:

لم تؤمن « نبوية موسى » بالمساواة التامة الشاملة الكاملة بين الرجل والمرأة ، ولكنها آمنت بالمساواة كما جاءت بتعاليم الإسلام - حسب فهمها - فهى تقول مؤمنة بالمساواة بالأجر لنفس العمل والكفاءة : «فساءنى أن تعاملنا الحكومة ونحن نعمل - عملت مدرسة - معاملة الوراثة ، أى : نصف الرجل ، لا أنكر أن الوراثة قد تكون على حق؛ لأنّها ليست من مجهود أحد، أما أن تعمل الفتاة ما يعمله الرجل ثم تتناول نصف مرتبه ، فهذا ما لا يعقل»(٢) .

(١) « المرجع السابق » : ص (١٨٤) .

(٢) « تاريخى بقلمى » : ص (١٤) . ولها الحق فى ذلك ، فلم يفرق الإسلام من الذكر والأنثى فى أحد العمل فى الدنيا أو الآخرة : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

ـ سفور « نبوية موسى » وحشمتها ووقارها :

لم تكن على قسط من الجمال ، وآمنت بالسفور ، أى : كشف الوجه فقط ، بلا زينة مع ارتداء اللباس الأسود المحتشم ، وقد دعت إلى ذلك فتقول : « عولت على أن أدعو إلى السفور بالعمل لا بالقول، وقد كان ملبسى لا يجعل محلاً للشك فى استقامتى وتمسكى بالفضيلة الشرقية ، فكشف وجهى وكفى كان مطابقًا لما جاء فى السنة والكتاب ؛ ولهذا لم يستطع أحد أن يمس سمعتى بسوء ، إنى أكثر الشرقيات محافظة على الآداب الإسلامية .

أعطيت تلميذاتى مثالاً صادقًا للسفور الذى أريده ، وهو ظهور المرأة سافرة ، ولكن فى منظر يدل على حشمتها ووقارها ، فهى تخرج لعملها سافرة حتى لا يعوقها الحجاب عن حسن تأدية ذلك العمل ، ولكنها تظهر فى ملبسها بمظهر الجد فلا زينة ولا تبرج والوجه كما خلقه الله لا فتنة فيه ، وإذا كان الله قد صنع فيه شيئًا من الفتنة ، فلا شأن لنا فيما صنع ، على أن القرآن لم يأمرنا بالحجاب بل أمرنا بالابتعاد عن الزينة ، فقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] ، فأمر الله بستر الصدر لا بستر الوجه ، وهو موضع الحلى فى الجاهلية [١] .

---

(١) « تاريخى بقلمى » : ص(٧٨) .

وقد أمر الدين الإسلامى المرأة أمرًا صريحًا بكشف وجهها فى ثلاثة أمور « الحج ، والخطبة ، والشهادة » ، ولم يأمرها بستره مطلقًا فلا معنى إذن لستر الوجه ، وفيه مضايقة كبيرة لمن يردن العمل [١] .

- إيمان « نبوية موسى » بعدم الاختلاط فى العمل :

عينت الوزارة شابًا وسيمًا بمدرستها للبنات ، ولكنها حاربت لنقله من المدرسة ، خوفًا من الفتنة للمراهقات ، ومما قالته للمسؤولين : «إن الرجل كريم الأخلاق ، ولا عيب فيه إلا أنه رجل أو بعبارة أخرى «شاب جميل » ، وما كان للوزارة أن تضع يوسف بين الفتيات وهى تعلم أن « يوسف » - على فضائله وعفته - قد ذهب جماله بعقول السيدات» [٢] .

- عُقدة الزواج عند « نبوية موسى » :

ترى « نبوية موسى » أن الزواج علاقة غير سوية ودنسة وحقيرة فتقول : « أنا أكره الزواج وأعتبره قذارة ، وقد صممت أن لا ألوث نفسى بتلك القذارة » [٣] ، وتقول عن أسباب هذه العقدة : « مع أنه

---

(١) « المرجع السابق » : ص(٧٨) ، ونحن نوافقها الرأى فيما ذهبت إليه إلا أننا نرى أن نقاب المرأة إذا كانت فاتنة الجمال أفضل لخوف الفتنة ، وهذا هو رأى الإسلام . انظر كتابنا : « الحجاب والختان والعفة بين الأديان ودعاة التحرر » ، مكتبة الشروق الدولية ، طبعة (٢٠٠٥) م .

(٢) « المرجع السابق » : ص (٢٣٩) .

(٣) « المرجع السابق » : ص (٨٧) .

لم يكن فى منزلنا رجل ، ولكن يظهر لى أن الأمر غريزة طبيعية أو أنى كنت أعلم بالإشارة أو بما أراه من الحيوانات ، وأرى أنه قذارة خصوصًا نصيب المرأة فيه ، وربما ترجع مسألة خروجى من المنزل فى سن الثالثة عشرة والتحاقى بالمدرسة إلى كرهى لهذا الأمر ؛ لأنِّى لو بقيت بلا عمل لما استطعت أن أبقى بلا زواج وليس لى من الأملاك ما يقوم بسد حاجتى لهذا انصرفت عن الزواج بتاتًا ، فسمعت رجلاً يتشاجر مع امرأة على قارعة الطريق ، ويقول لها ما معناه ، امرأة مثلك أقضى فى جوفها حاجتى تتجرأ أن تكلمنى بما تقولينه ؟ ، فكرهت أن يقف منى رجل ذلك الموقف القذر المريع ؛ لهذا كنت أكره أن أسمع الزواج فى شبابى ، أما بعد أن كبرت ، فقد أصبح مجرد هذا الاقتراح سُبة لا يشتمنى أحد بأقبح منها [1] .

- كيفية احتساب قيمة الزواج :

قالت « نبوية موسى » لأخيها مبررة رفض خاطب لها: « الرجل الذى تقترح زواجى به يتناول أربعة وعشرين جنيهًا شهريًا ، وأنا كما تعلم لا أحب الزواج ، فإذا قبلت قذارته كان يجب أن يغرينى المركز الجديد الذى سأكون فيه بعد ذلك الزواج ، ومرتبى الآن اثنا عشر جنيهًا، فإذا شئت أن تبقى حالتى المالية كما هى وجب أن يكون مرتب ذلك الزوج ثمانية وأربعين جنيهًا ، منها اثنا عشرة جنيهًا لى ، واثنا عشر جنيهًا له ، و أربعة وعشرون جنيهًا للأولاد ، فكيف أقبل أنا

---

(١) « تاريخى بقلمى » : ص (٨٩) .

الزواج على بغضى له ثم أقبل معه انخفاض مستوى معيشتى ، وهذا لا يعقل؟

وقد دارت الأيام وطلب منها هذا الخاطب خدمة لقريب له ، فعلقت على ذلك قائلة : « لو كنت قد قبلت ما عرضه على لكنت الآن تحت أمره أطلب منه الرضا والعطف ، أما الآن بعد رفضى فهو الذى يطلب منى أن أعطف عليه وعلى أقاربه ، سأدخل ابنتك «القريب» بالمجانية فى مدرستى » (١) .

وهكذا يتبين لنا إيمان أكثر دعاة عمل المرأة وتحررها ، بتفضيل العمل عن الزواج ليتحقق الاستقلال الاقتصادى عن الزوج ، حتى لو كان الثمن العنوسة ، وعدم المشاركة فى إعمار الأرض بالنسل الذى شاء الله أن يكون سبيله القويم العلاقة بين الذكر والأنثى أى الشهوة الحلال، وليس القذارة (٢) .

---

(١) « تاريخى بقلمى » : ص (٨٩) .

(٢) أعز الله المرأة بالرحم ، وهو ليس محل قذارة الرجل ـ كما تدعى نبوية موسى ـ ولكنه موضع الإثبات لنطفة الرجال وخلق الجنين ، وقد اشتق الله اسم الرحم من اسمه الرحمن ، إعزازًا وتكريمًا لدور المرأة فى حفظ النوع .

خامسًا : نوال السعداوى

القسم الأول : السيرة الذاتية :

من أنشط وأجرأ داعيات تحرر المرأة ومساواتها بالرجال فى كافة مناحى الحياة اعتبارًا من نسب وليدها لها حتى عملها دون ضرورة ، وحريتها الجنسية وسنعرض للقارئ بعضًا من سيرتها الذاتية حسبما ذكرتها بقلمها فى كتابيها « قضايا المرأة » ، و « مذكرات طبيبة » وغيرها وسأترك للقارىء الحق فى تحليل شخصيتها ، فقد كتبت تقول : « سيرتى الذاتية » :

١ ـ البدايات :

منذ علمتنى أمى الحروف ، عرفت تكوين كلمة ذات معنى هو اسمى ، بدأت أكتبها كل يوم ، أربع حروف متشابكة « نوال » ، أحببت شكل الاسم ومعناه النوال أو العطاء ، ارتبط بى ، أصبح جزءًا منى ، عرفت اسم أمى « زينب » كتبته إلى جوار اسمى فوق كراستى الصغيرة ، أحببت شكل الاسمين معًا ومعناهما كما أحببت نفسى وأمى، أكبر حب فى حياتى منذ ولدت [١] ، كان لنفسى ولأمى ، بعد

---

(١) تقول عن أمها : لكن أى فضل لها فى أنها ولدتنى ؟ كانت تمارس حياتها الطبيعية كأى امرأة ، ثم جئت أنا بغير إرادتها فى لحظة من لحظاتها السعيدة ، جئت دون أن تعرفنى ودون أن تختارنى ، ودون أن أختارها ، لقد فُرضت عليها ابنة ، وهى فرضت على اما ، أيمكن لإنسان أن يحب مخلوقًا فُرِضَ عليه ؟!! « مذكرات طبيبة »: ص(١٤) .

ذلك يأتى الآخرون ، منهم أبى ، شطب على اسم أمـى ، وضع اسمه إلى جوار اسمى ، ثم وضع اسم أبيه « السـعداوى » رجل مات قبل أن أولد.

ودار فى عـقلى السؤال : لماذا يـشطب أبى اسم أمى ؟ ولدتنى ، أرضعتنى ، علمتنى الكتابة ، ترعانى كل يوم ؟! يضع مكانه اسم رجل غـريب لم أره فى حيـاتى ، مـات قبل أن أولد ؟ كـرهت اسم الرجل «السـعداوى » يلغى اسم أمى من الوجـود ، سألت أبى عن السـبب ، فقال لى : إنها إرادة الله .

كلمة « الله » سمـعتها لأول مرة فى حـياتى من أبى ، عرفت أن من يسكن السـماء هو المسـئول عن شطب اسم أمى ، لم يكن لى أن أحب من يشطب أمى واسـمها زينب ، أحـبها باسـمهـا ، جسمـها ، شكلها ، أصـابعهـا الحانية الدافـئة تداعب وجهـى كشعـاع الشمس ، صوتها ينادينى فى الصبح ، كل يوم جديد تعلمنى كلمات جديدة .

كان لى أخ أكـبر منى بـعام واحد ، كـان بليداً فى المـدرسة وفى البيت ، لا يفـعل شيئًا إلا الـلعب والصراخ والنوم والأكل ، لا يرتب سريره ولا يغـسل صحنه ، أنا أصـغر منه ، مع ذلك أرتـب له سريره وأغسل صحونه ، أتفوق عليه فى واجبات المدرسة وأعمال البيت .

أبى كـان يحبـه أكثـر منى ، يدلله ويشـترى لى طيـارة بزنبلك ، وبسكليتة ، فى العيد يعطيه ضعف ما آخذ من قروش أو ملاليم ، حين أسـأل أبى لماذا ؟ يقول : « اللـه قال فى كـتابـه الكريم : البنت نصف

الولد » .

أصبح الله هو المسئول عن التفرقة بينى وبين أخى دون وجه حق ، كما أصبح المسئول عن شطب اسم أمى دون وجه حق أيضًا ، قال أبى : إن الله هو الحق ، لم أفهم هذه العبارة ، فكتبت رسالة إلى الله أسأله ، كانت أول رسالة أكتبها فى حياتى كالآتى : يا ربى إذا كنت أنت الحق ، فلماذا تفرق بينى وبين أخى ؟ ولماذا تفرق بين أبى وأمى ؟ .

قالت أمى : إن الله لا يقرأ ولا يكتب ، كنت أظن أنه كتب القرآن ، أبى يسميه كتاب الله ، لم أرسل إلى الله رسالة أخرى ، أصبحت أوجه الرسائل إلى أبى ، كنت أدرك الصلة بينه وبين الله ، كانت رسائلى إلى أبى لا تصل إليه أحرقها قبل أن أرسلها ، كما حرقت رسالتى الأولى إلى الله ، بدأت أدرك أن الله يملك ناراً حمراء تحرق جلود الناس ، تتجدد الجلود بعد الحرق لتحرق مرة أخرى ، يستمر الحرق إلى ما لا نهاية (١) ، عرفت أن مصيرى النار ؛ لأنى أسأل

---

(١) الله لا يحرق الناس كلهم ، بل الكفار والمنافقين والعصاة ، لقوله تعالى :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٥٦] .
﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء : ١٣٨] .
﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء : ١٤٥] .
﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء : ١٤٠] .
﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء : ١٤٠] .
﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا =

الله ، المفروض أن الله لا يسأل عن شىء ، فهـو يفعل ما يشاء دون أن يحق لمخلوق أن يوجه إليه سؤال .

قال أبى : إن الله هو الخالق الكامل ، جميع أعماله كاملة ، خلق أجسـادنا على أحسن تقويم ، وجاءت الداية بـالموس فى ليلة مظلمة ، وأنا فى السادسة من العـمر ، قطعت عضواً من جـسدى ، قالت : إنه أمر الله (١) ، لم أستطع أن أسأل الله كيف يأمر بقطع عضو خلقه فى أجسادنا ، سألت أبى ، فقال : إن عـملية الختان سنة عن رسول الله ، وليست فرضًا ؛ لأنَّها لم ترد فى كـتاب الله ، ولم أعرف ما الفرق بين السنة والـفـرض (٢) ، ورقدت فى الـفراش أنزف بعد انصـراف الداية

= أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس:٢٧] .

(١) الله أوضح لعباده أنه الخبير العليم ذو الحكمة البالغة التى تفوق أفهام البشر الذين من حقهم سؤال أهل العلم عما يجول فى خاطرهم من أفكار ، يقول تعالى : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمـران : ١٨] ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٨] ، ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء : ٨٣] .

(٢) أوامر الله نافذة بصفته الخالق يقول جلَّ شانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

والعبرة من قطع الجزء الزائد من العضو هـو تهذيب الشهوة ، وليس إلغـاءها ، لقول =

صاحبة الموس ، نزفت أكثر من أسبوعين ، الألم كالنار التى تحرق بعد الموت ، شفيت بعد ثلاثة أسابيع ، نسيت الحادث ربع قرن من الزمان ، حتى تخرجت فى كلية الطب واشتغلت طبيبة فى الريف ، بدأت أرى الدايات بأمواسهن الملوثة تقطع فى أجساد البنات الأطفال ، ينزف الجرح حتى الموت أو ينزف الدم والصديد ، يترك فى جسد كل طفلة عاهة مستديمة .

فى طفولتى المبكرة ، لم أعرف ما هى الرذيلة ، قال أبى : إن الشيطان مسئول عنها واسمه إبليس ، أصبحت أراه فى الحلم على شكل رجل يهمس فى أذنى باللذة المحرمة ، التى تحولت إلى ألم يرتبط على نحو ما بالعضو المبتور بالموس فى جسدى ، كنت أرى الله أيضًا فى أحلامى على شكل رجل يحذرنى من إبليس ، لم أعرف كيف أفرق بين الله وإبليس ، كلاهما أراه فى الحلم على شكل الرجل [(١)] .

فى التاسعة من عمرى وقع لى حادث آخر مؤلم ، نزيف دموى أصابنى من حيث لا أدرى ، أشد خطورة من حادث الختان ؛ لأنَّه

=الرسول ﷺ لام عطية ، وكانت خاتنة بالمدينة « إذا خفضت فأشمى ولا تنهكى ، فإنه أسرى للوجه ، وأحظى عند الزوج » « الحديث أخرجه الطبرانى » ، لقد اعترضت المؤلفة على طول شعرها ورات قصه ولم تر فى ذلك بأسًا !! فلم رأت الخطأ فى تهذيب الرغبة الجنسية ؟!!

(١) حاشا لله أن يُرى « ليس كمثله شىء » ، ومع ذلك ساوت الله ـ والعياذ بالله ـ بالشيطان فى الصورة ، وإن كان حلمًا .

يتكرر لمدة أربعة أيام فى كل شهر ، لا ينقطع عنى إلا بعد أن يبلغ عمرى نصف قرن ، ورد ذكره فى كتاب الله أنه « أذى » بمعنى النجاسة، على الرجال أن يهجروا النساء فى هذه الأيام حتى يطهرن[1].

كنت أنكمش فى الركن بعيدًا عن الناس أخفى الألم ، لم يكن لى أن أسأل سؤالاً دون أن أمس المقدس ، الله فى سمائه العلياء ، أما إبليس فقد قرأت قصته فى المدرسة ، أمره الله بالسجود لآدم فرفض ، قصة لا علاقة لها بالختان أو المحيض أو آلامى الجسدية والنفسية ، أدركت وأنا فى العاشرة من العمر أن إبليس برىء على نحو ما ، لم يصل هذا الإدراك إلى عقلى الواعى أو ذاكرتى الإرادية التى أحفظ فيها ما يرضى الله وأبى والمدرسين فى المدرسة .

ومضى نصف قرن من الزمان تقريبًا ، كنت أزور ابنة عمتى فى قريتنا ، سمعت حفيدتها الطفلة تسألها عن الله وإبليس ، الجدة تلسعها بالعصا الخيزران ، كانت الطفلة فى العاشرة من عمرها ، بشرتها سمراء بلون بشرتى ، عيناها السوداوتان الواسعتان تتطلعان إلى السماء فى

---

(١) تقصد قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، وهى تعترض على حيض النساء ، فتقول فى كتابها « مذكرات طبيبة » : ألم تكن هناك طريقة أخرى تنضج بها البنات غير هذه الطريقة الملوثة ؟! أيمكن للإنسان أن يعيش أيامًا تحت سيطرة عضلاته اللاإرادية الغاشمة ؟ لابد أن الله يكره البنات جميعًا فوصمهن بهذا العار ، وشعرت أن الله تحيز للصبيان فى كل شىء .

حيـرة ورهبــة كأنما تبـحثـان عن موقع الله ، تذكـرت نفسى فى مـثل عمرها، الحركة نفسها والحيرة نفسها ، عادت إلىَّ ذاكرتى المفقودة .

كتبت رواية جـعلت الطفلة فيها تســأل جدتها الأسئلة نفـسها التى راودتنى فى طفولتى ، أعطيتــها اسم « جنات » ، لم يقدم أى ناشر فى مصــر على طبعها ، أخــذتها إلى ناشر فى بيـروت ، وافق على نشرها بعد حذف وتغيير عنوانها من « براءة إبليس » إلى « جنات » .

وهذه الأحداث والأفكار توضــح أن د / نوال ترسب فى أعماقـها أفكارٌ شاذة وغير سليمة عن الله لا تـتفق مع جلاله وقدرته وحكمته : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

كمـا تبين فى جلاء ازدراءها أحكام الأديان جـميـعًا وعـدم إيمانها بشرائع الله وأحكامه « المقـدس » ومنها أحكام ، نسب الطفل للأب ، الإرث أحكام العفة والطهارة ، البعث واليوم والآخر ، الختان.

وللأسف فالأسـرة مسئـولة عن ذلك حيث كان أبوها أحـد علماء الأزهر الشريف ، وكـان يجب تقويم هذه الأفكار حـتى لا تترسب فى العـقل الباطن لطفـلة برئية ذات عـقل باحث نشط وليس بخـامل يريد كشف جوهر الحقيقة لا تخيل غلافها .

وللأسف كانت النتيجة أن تســاوى فى حكمها الله تعالى عن ذلك والشيطان الرجيم .

٢ ـ مذكرات طفلة اسمها سعاد :

فى الثالثة عشرة من عمرى ، كنت تلميذة بالمدرسة الثانوية فى حلوان ، طلب منا أحمد أفندى مدرس اللغة العربية أن نكتب شيئًا من الذاكرة فى كراسة الإنشاء ، كانت ذاكرتى الطفولية قد اندثرت تحت اسم المحرم ، الجنس أو الدين ، نسيتهما مع أحداث طفولتى بما فيها الحب الأول ، وأنا فى العاشرة من العمر ، ومفهوم الشرف يتعلق بغشاء خلقه الله فى أجساد البنات فقط ، لم يخلقه فى أجساد الأولاد ، لأنَّ الذكور ليس لهم شرف يتعلق بشىء فى أجسادهم [١] .

كتبت لأحمد أفندى فى كراسة الإنشاء سيرة ذاتية لطفلة اسمها «سعاد» ، غيرت اسمى واسم أبى وجدى السعداوى حتى لا يدرك أحمد أفندى أننى أكتب عن نفسى ، تفاديت المحرمات الكبيرة التى تتعلق بالرؤوس الكبيرة مثل أبى والله وجدى وعمى الشيخ محمد وخالى يحيى وزكريا وغيرهم من الذكور .

إلا أن ذاكرتى اللاإرادية كانت تتسرب من بين السطور ، فى المساحات الخالية بين السطر والسطر ، كنت أكتب على سطر وأترك سطرًا خاليًا يتسع لأى شىء ، وقد سألت سعاد أباها سؤالاً لم أسأله لأبى ، وهو : كيف ينفذ الله من خلال الجدران ويراها فى دورة المياه ؟ كانت سعاد تخجل من رفع ملابسها ، تتصور أن الله رجلاً يطل عليها

(١) ربما كانت الحكمة من وجود غشاء بكارة للنساء ضرورة الحرص الشديد على العفة حيث إن مضار الزنا بالنساء يفوق الرجال ؛ لاحتمال الحمل واختلاط الأنساب .

من السقف [١] ، وقال لها أبوها : إن الله ليس ذكرًا أو أنثى وهو روح لا جسد ، كان أبوها يخاطب الروح بصيغة المؤنث فيقول الروح لا يعلمها أحد ، وبدأت سعاد تخاطب الله بصيغة المؤنث باعتباره روحًا ، غضب أبوها ، أمرها أن تشطب على صيغة المؤنث ، مع ذلك كان يؤكد لها أن الله روح فقط يختلف عن الإنسان الذى يملك الروح والجسد ، تصورت سعاد أن الإنسان يملك أكثر مما يملكه الله ؛ لأنَّ عنده الجسد أيضًا بالإضافة إلى الروح [٢] .

إلا أن مذكرات الطفلة سعاد وقعت بالصدفة فى يد أمى ، كانت أمى تقرأ وتكتب ، جذبها العنوان فقرأت الكراسة كلها ، حين عدت من المدرسة رأيتها ترمقنى بعينيها العسليتين يكسوهما بريق ، صوتها فى أذنى له رنين الفضة : عندك موهبة يا نوال ، سمعت العبارة ذاتها من أبى بعد أن قرأ كراستى ، إلا أن عبارة أمى كانت الأسبق ، والأعمق ، والأكثر حرارة ، ذاكرتها تشبه ذاكرتى ، حين ولدتها أمها لم تنطلق الزغاريد ، أصبح وجه أبيها كظيمًا ، كان يريدها ذكرًا تحمل اسمه واسم أبيه .

كرهت أباها وأمها وجدتها وكل النسوة ، لم تشأ أن تكون مثلهن راكدة فى البيت لم تحلم بالزواج أو فستان الزفاف ، كانت تحلم وتحلم أنها تطير فى السماء ، تركب الخيل والطائرة ، تعزف الموسيقى وتؤلف

---

(١) الله ليس كالإنسان صاحب شهوة يتلصص على العورات ، حاشا لله !!!

(٢) كيف يملك المخلوق ما يفوق الخالق ؟! كيف يسمو العبد على المعبود ، حاشا لله !!!

الألحان ، أخرجها أبوها من المدرسة بالعصا ، كانت فى السادسة عشرة من عمرها ، زوجها لأبى ، عاشت حياتها ما بين المطبخ وغرفة النوم ، ولدت تسعة من الأطفال ثم ماتت فى ريعان الشباب ويدها فى يدى ، اتسعت عيناها لحظة الموت بالدهشة الطفولية كأنما عادت إليها الذاكرة فجأة .

لولا أمى ربما ضاعت حياتى ما بين المطبخ وغرفة النوم ، إلا أنها قرأت مذكرات الطفلة سعاد ، أرادت أن تنقذ ابنتها بعد أن عجزت عن إنقاذ نفسها ، وتعوض فيها أحلامها المجهضة .

وهذه الأفكار توضح دوام فكرتها السيئة عن الله ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ وبداية التفكير الشاذ فى هدم الأخلاق الرفيعة من طهارة وعفه ، وعدم الرضا عن بكاره النساء ، والحقد على ذكورة الله ـ كما تدعى ـ وكل ما هو مذكر، كذلك الإيمان بتحرر المرأة الكامل وعدم قرارها كزوجة وأم ، وأيضًا المطالبة بنسب الأبناء للأمهات وليس للآباء .

٣ ـ مذكرات فتاة غير عادية :

كنت فى أول الشباب حين ماتت أمى ، مات أبى بعدها بشهور قليلة ، قبل أن يموت بأيام قليلة ، قال لى : أنت مسئولة عن إخوتك وأخواتك من بعدى ، لم يقل هذه العبارة لأخى الأكبر ، أصبحت ربة أسرة كبيرة العدد ، أقوم بالدورين الأب والأم ، والرجل والمرأة ، الإنفاق والرعاية والحنان .

بدأت فى تلك الفترة من شتاء (١٩٥٩) أكتب سيرتى الذاتية تحت عنوان « مذكرات فتاة غير عادية » ، كنت أشتغل طبيبة جراحة فى مستشفى الصدر بالجيزة ، وعيادتى الطبية فى ميدان العجوزة ، أتحمل فى البيت مسئولية لا يتحملها الرجال ، فى المستشفى والعيادة أعالج الرجال والنساء ، أنقذ أرواحهم وأجسادهم من الموت ، إلا أن القانون والشرع يرانى نصف رجل ، لا أستطيع أن أدلى بشهادة فى المحكمة كإنسانة كاملة ، ليس لى حق الولاية على أخواتى القاصرات ، لا يمكن لى السفر دون إذن مكتوب من زوجى ، يملك حقوقًا لا أملكها ، منها الطلاق ، تعدد الزوجات ، ما سمى « قوامة الرجل » على المرأة ، رغم أننى أتحمل مسئولية الإنفاق (١) .

---

(١) القوامة لا تنشأ عن الإنفاق وحده ، ولكنه أحد أسباب القوامة لقوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا...﴾ [النساء: ٣٤]، فأساس التفضيل الأول هو مهمة الرجال لقيادة الأسرة والمجتمع والدولة ، فهى تكليف وعناء للرجل، وتشريف ويسر للمرأة ، وهناك بعض الصحابيات كن أغنى من أزواجهن وينفقن على الأزواج والأولاد من زكاتهن أو صدقاتهن، ومع ذلك لم يطالبن بالقوامة على الرجل ومنهن زوجة، عبد الله بن مسعود ، وكون شهادة المرأة نصف الرجل فلعلة أوضحها الله فى قوله : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وإذن الرجل لسفر زوجته أمر طبيعى لأن مغادرتها البيت يتوقف عليه أمور عديدة، منها: ضرورة البديل للقيام بشأنه من رعاية زوج وأبناء، وأيضًا التحقق من الصحبة الآمنة للمرأة فى سفرها فى زمن كثر فيه الاغتصاب!! ، وحقوق الطلاق والتعدد معلومة فى الإسلام . انظر =

رفضت كل هذا ، كان مـعى المنطق والعدل والحق ، إلا أن الشرع والدين لم يكن معى ، هنا اصطدمت بالمقدس ، بدأت أبحث كيف نشأ هذا المقدس فى التـاريخ ، وصلت إلى الحضارة المصرية القـديمة ، كان الآلهة الأنثى رمز المـعرفة والعدل والصحـة ، الآلهة « سخمت » نقـيبة الأطباء فى مصـر منذ سبعة آلاف عـام ، « معات » هى رئيسـة القضاة وآلهة العدل [1] ، لا يمكن للمرأة أن تكون قاضية اليوم .

= كتابنا : « الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان ودعاة التحرر » .

أثر السيرة الذاتية على أفكارها التحررية اللادينية

إن لمرحلة النمو المبكرة « الطفولة » ، ومرحلة النضج الذهنى والجنسى « المراهقة » وأيضا مرحلة الشباب ومواجهة المجتمع، تأثيراً كبيراً فى تكوين شخصية الإنسان ، فإذا لم يتم توجيه النشء وتلقينه المبادئ الدينية السامية ، والأخلاق الإنسانية الرفيعة ، والآداب الاجتماعية القويمة فقد يعتنق المرء مبادئ أخرى فاسدة وأفكاراً مختلفة مسمومة فيدعو إلى كل شذوذ ويروج لكل رزيلة ، فبدلاً من أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فإنه يأمر بكل منكر وينهى عن كل معروف وهو يظن أنه يحسن العمل ويرجو الرشاد ، وهؤلاء قال عنهم رب العالمين :

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤] .

وبعد عرض السيرة الذاتية للدكتورة : نوال السعداوى ، يتبين لنا معاناتها من أحداث مؤسفة كثيرة ، فى شتى مراحل النمو والنضج أدت إلى استهانتها بالمقدس شريعة الله والشك فى حكمة الله ؛ ومن ثم دعوتها لأفكار ومبادىء تحررية ـ خاصة فى مجال المرأة والمبادئ التى تدعو إليها لم ترد فى أى شريعة سماوية ، أو تناسب ـ حتى ـ الآداب الإنسانية . .

أفكار نوال السعداوى :

كراهية د. نوال السعداوى لأنوثتها وحقدها على الذكور :

*** تقول عن كراهيتها لأنوثتها [1] :**

بدأ الصراع بيني وبين أنوثتي مبكرًا جدًا ، قبل أن تنبت أنوثتي ، وقبل أن أعرف شيئًا عن نفسي وجنسي وأصلي ، بل قبل أن أعرف أي تجويف كان يحتويني قبل أن ألفظ إلى هذا العالم الواسع ، كرهت أنوثتي» ص : (٥) .

*** وتقول عن نهديها :**

كرهتهما ! هذان البروزان ! تلكما القطعتان الصغيرتان من اللحم اللتان تحددان مستقبلي ! وددت لو أجتثهما من فوق صدري بسكين حاد. ص(١٢) .

*** وتقول عن شعرها :**

هذا الشعر الطويل الثقيل ، الذي أحمله فوق رأسي في كل مكان، يعطلني كل صباح ، ويرهقني في الحمام ، ويلهب رقبتي في الصيف . ص(١٤) .

---

(١) د « نوال السعداوي » : « مذكرات طبيبة » ، دار الآداب ببيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة (١٩٨٣) .

* وتقول عن كراهيتها للرجال إثر مغازلة بواب عمارة لها بعد البلوغ:

هربت من تلك المخلوقات الغريبة ذات الأصوات الغليظة والشوارب التى يسمونها رجالاً ، وخلقت لنفسي عالمًا خاصًا من صنع خيالي ، جعلت من نفسي فيه آلهة وجعلت من الرجال مخلوقات عاجزة غبية تقوم على خدمتي .ص(١٠) .

وتتجلي هذه الكراهية الشديدة للذكر « الرجل » وللأنوثة أيضا حين دخلت المشرحة حيث تقول عندما شاهدت جثة رجل عار : «كدت أشيح بوجهي عن الجسد العاري ، وأجرى خارجة من المشرحة، ولكن لا ، لن أفعل ذلك ، سلطت نظراتي على جثة الرجل بقوة، وأمسكت المشرط في يدي [١] ، كان هذا هو أول لقاء سافر لي بالرجل والرجولة، فيه فقد الرجل هيبته وجلاله وعظمته الموهومة ، نزل الرجل من فوق عرشه وارتمى على منضدة التشريح بجوار المرأة» .

لماذا كانت أمي تضع هذه الفروق الهائلة بيني وبين أخي وتصنع من الرجل إلهًا ، أكان عليّ أن أقضي عمري كله أطبخ له طعامه؟

لماذا يحاول المجتمع دائمًا أن يقنعني بأن الرجولة امتياز وشرف، وأن الأنوثة مهانة وضعف ؟

هل يمكن لأمي أن تصدق أنني أقف وأمامي رجل عار ، وفي يدي

---

(١) من الواضح أنها ترددت في قطع عضو الذكورة للرجل وقاومت نفسها مرارًا !!!

مشرط أفتح به بطنه ورأسه ؟

هل يمكن للمجتمع أن يصدق أنني أتأمل جسد الرجل وأشرحه وأمزقه دون أن أشعر بالخجل .

كراهيتها للأنوثة :

نظرت إلى جانبي ورأيت جثة امرأة عارية وإلى جوارها بعض الطلبة ينظرون إليها في جرأة وقوة ، شعرها طويل ناعم مصبوغ باللون الأحمر ، لكنه مغسول بالفورمالين ، ونهداها فوق صدرها ، ولكنهما ضامرتان متهدلتان ، قطعتا اللحم اللتان عذبتاني في طفولتي ، اللتان تحددان مستقبل البنات وتشغلان قلوب الرجال وعيونهم ، هاهما تستقران تحت مشرطي يابستين مجعدتين كقطعتين من جلد الأحذية!، ما أضحل مستقبل البنات ! وما أتفه ما يملأ عقول الرجال وعيونهم ! والشعر الطويل الناعم الذي عذبتني أمي من أجله ، ها هو يستقر أمامى في جردل المشرحة إلى جوار عفونات الجسد وفتافيت اللحم المتهدلة!![1].

سبب كراهية د. نوال السعداوى للذكور :

المتدبر لسيرتها الذاتية يجد أن السبب الرئيسى فى تلك الكراهية العميقة ، التى أدت إلى نشاطها الملحوظ فى الدعوة للتحرر المرأة بلا ضوابط ، هو تفضيل أخيها عليها ، أى التفرقة فى المعاملة بين الولد

---

(١) عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر ص٣٤٢ للمؤلف .

والبنت فى الأسرة ، فهى تقول :

كان لي أخ أكبر مني بعام واحد ، كان بليداً في المدرسة وفي البيت ، لا يفعل شيئًا إلا اللعب والصراخ والنوم والأكل، لا يرتب سريره ولا يغسل صحنه ، أنا أصغر منه ، مع ذلك أرتب له سريره وأغسل صحونه ، أتفوق عليه فى واجبات المدرسة وأعمال البيت.

أبي كان يحبه أكثر مني ، يدلله ويشتري له طيارة بزنبلك ، وبسكليتة ، في العيد يعطيه ضعف ما آخذ من قروش أو ملاليم ، حين أسأل أبي لماذا ؟ يقول : « الله قال في كتابه الكريم : البنت نصف الولد»[1] .

« أخى يأخذ قطعة من اللحم أكبر من قطعتي ويأكل بسرعة ويشرب الحساء بصوت مسموع وأمى لا تقول له شيئًا . . .

أخى يقص شعره ويتركه حراً ولا يمشطه وأنا شعرى يطول ويطول وتمشطه أمى فى اليوم مرتين وتقيده فى ضفائر وتحبس أطرافه بأشرطه . .[2] .

---

(١) مذكرات طبيبة : ص١٤ .

(٢) مذكرات طبيبة : ص٥ ، من الواضع أنها لم تفرق فى طفولتها بين الآداب التي ينبغى أن تتحلى بها البنات والنساء ، والتى يجب أن يتحلى بها الذكور أو الرجال ، حتى إنها رأت فى تزيين شعرها بضفائر تقييداً للحرية فعلى ما يبدو طبيعتها ثائرة.

اعتراض د. نوال على الله ـ جل جلاله ـ لاختصاص النساء بالحيض:

يبدوا أن كراهية د. نوال للأنوثة والذكورة معًا أثمرت كراهيتها لما اختص الله به النساء من محيض ، فهى تقول .

« فى التاسعة من عمري وقع لي حادث آخر مؤلم ، نزيف دموي أصابني من حيث لا أدري ، أشد خطورة من حادث الختان؛ لأنَّه يتكرر لمدة أربعة أيام في كل شهر ، لا ينقطع عني إلا بعد أن يبلغ عمري نصف قرن ، ورد ذكره في كتاب الله أنه « أذى» بمعنى النجاسة ، على الرجال أن يهجروا النساء فى هذه الأيام حتى يطهرن[1] .

كنت أنكمش في الركن بعيدًا عن الناس أخفى الألم ، لم يكن لي أن أسأل سؤالاً دون أن أمس المقدس ، الله في سمائه العلياء ، أما إبليس فقد قرأت قصته في المدرسة ، أمره الله بالسجود لآدم فرفض، قصة لا علاقة لها بالختان أو المحيض أو آلامي الجسدية والنفسية، أدركت وأنا في العاشرة من العمر أن إبليس برىء على نحو ما ، لم يصل هذا الإدراك إلى عقلي الواعي أو ذاكرتي الإرادية التي أحفظ فيها

(١) تقصد قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، وهي تعترض على حيض النساء.

ما يرضي الله وأبي والمدرسين في المدرسة [١] .

كما تقول فى موضع آخر :

« انخلع قلبى من الهلع . . وأغلقت على نفسى باب الحمام لأبحث فى الخفاء سر هذا الحادث الخطير ـ رؤيتها دم الحيض» .

وظننت أن فى الأمر مرضًا مفاجئًا ألم بي ، وذهبت ألى أمي أسألها فى ذعر . . ورأيت أمي تضحك فى سعادة ، فأخذتنى من يدى إلى غرفتى حيث قصت عليّ قصة النساء الدامية .

ألم تكن هناك طريقة أخرى تنضج بها البنات غير هذه الطريقة الملوثة؟ أيمكن لإنسان أن يعيش أيامًا تحت سيطرة عضلاته اللاإرادية الفاشحة ؟ لابد أن الله يكره البنات فوصمهن جميعا بهذا العار ، وشعرت أن الله قد تحيز للصبيان فى كل شىء » [٢] .

---

(١) عمل المرأة بين الأديان والقوانين ص٣٣٤، ٣٣٥ .

(١) مذكرات طبية : ص٧ ، ٨ ، وهذه الفرقات توضح استهانتها بحكمة الله من الحيض المرتبطة بالحمل والولادة والعدة وغير ذلك .

اعتراض د. نوال السعداوى على الجنة ونعيمها تقول د. نوال :

في طفولتي سمعت أبي يقول : الجنة تحت أقدام الأمهات، أحد النصوص المقدسة ، بعد موت أمي رأيتها في الحلم تعاني الوحدة والحزن في حياتها الجديدة بالجنة ، كان أبي مخلصا لها طوال حياته[1]، في الجنة تخلى عن الإخلاص تركها وحيدة وانشغل بالعذراوات والحوريات[2] .... يشف بياضهن من تحت

---

(١) تقول د«نوال» عن أبيها في كتابها « توأم السلطة والجنس»: ص(١١٨) : «كان أبي زوجًا مخلصًا حنونًا عاش ومات دون أن يتزوج امرأة غير أمي ، ولم يهددها يومًا واحدًا بالطلاق أو الزواج من أخرى ، إلاَّ أن شبح الضُرَّة أو الزوجة الأخرى لم يكن يفارق أمي في كوابيس النوم مثل غيرها من النساء».

ولنا أن نتساءل ما الداعي للكوابيس ، وقد أنجبت منه (٩) أولادًا؟! إن أمهاتنا جميعًا لم ينجبن (٩) أطفال ـ في الغالب ولا تطاردهن الكوابيس ، إن نسبة التعدد في المجتمع الإسلامي حوالي (٢٪) فقط.

(٢) الله العادل في حكمه جعل الجنة للأزواج والزوجات ، وليس للرجال فقط يقول تعالى : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣ ، ٢٤] ، كما يقول : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٥ : ٥٨].

كما جعل العلاقة الزوجية في الجنة كما في الدنيا للصالحين ، يقول جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن ..

الساق (١) ، له منهن اثنتان وسبعون حورية ، تعود الواحدة منهن عذراء بعد تمزق الغشاء، ليتمزق من جديد كالجلود المحروقة في النار تتجدد (٢) .

كان أبى رقيق الطبع ، فهل يتحول بعد الموت إلى آلة ذكورية شديدة القسوة والغباء لا عمل لها إلا تمزيق أغشية العذراوات؟!

أمى حكت لى آلامها ليلة الزفاف ، هذا الألم تعرفه كل امرأة،

= شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] ، أي : أن المرأة الصالحة تلحق بزوجها في الجنة بفضل صلاح عمل الزوج وإيمانها ، فهي من حور العين .

(١ ، ٢) تقصد الكاتبة قوله تعالى في وصف الحور العين : ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩]، وأيضًا قوله جلّ شأنه : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] ، كذلك : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] ، وهي ولا شك تسخر من نعمة الله على عباده الصالحين والصالحات في الجنة، حيث تصف غشاء البكارة الذي يتمزق ثم يعود بأنه كالجلود المحروقة في النار ، وهي تقصد بذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦] ، وهدفها السخرية والاستهزاء، وربما لم تعلم أن الجزاء من جنس العمل ، فالكافر يُعذب وحيث إن الإحساس بالألم في الجلد ـ كما أثبت ذلك العلم ـ فتغير الجلد لحكمة استمرار العذاب ، أما غشاء البكارة ففضه وإعادته لاستمرار المتعة الزوجية لكلا الطرفين ؛ ولذلك يقول تعالى : ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن : ٦٠] ، فالكاتبة حاولت أن تساوي بين الصالح والطالح من النعمة والنقمة ، عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر للمؤلف ص٣٣٨.

فكيف تتكرر هذه المأساة كل ليلة [١] .

ألا تكون النار للنساء أفضل من الجنة ؟ وكيف تتحول أمي إلى عذراء بعد أن ولدت تسعة من العيال ؟!

كراهية د. نوال السعداوى لفكرة الزواج :

تقول د. نوال :

تجرجرني أمي إلى المطبخ ، وهي تقول : « مصيرك إلى الزواج، يجب أن تتعلمي الطبخ ، مصيرك إلى الزواج ، الزواج ! الزواج!» .

تلك الكلمة البغيضة التي كانت ترددها أمي كل يوم حتى كرهتها، ولم أكن أسمعها حتى أتمثل أمامي رجلاً له بطن كبير في داخله مائدة

(١) من العجيب دهشة الكاتبة لتحول والدها ـ كما تقول ـ لآلة ذكورية شديدة القسوة والغباء؟! من ادعى أن مزاولة الجنس بما أحل الله هو قسوة وغباء ، إن أسعد ليلة عند كل عروس في الدنيا منذ خلقها حتى فنائها يوم القيامة هي ليلة زفافها التي تسمى «ليلة العمر» بالرغم مما قد يحدث بها من بعض آلام استعمال الأعضاء الجنسية لأول مرة وأمتع مرة !! ، ويبدو أنه قد غاب من علم د «نوال» أن الجنة لا عذاب فيها ولا ألم ولا إجهاد ، ولا ضعف لقوله تعالى : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، والمراد بالمقيل : مقام أمين حسن المنظر ، طيب المقام ﴿خالدين فيها ، حسنت مستقراً ومقامًا﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠] .

أتعجب الكاتبة من قدرة الله على جعل والدتها عذراء !! أهذا بالنسبة لقدرة الله شيء يذكر ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] .

طعام[١] .

وتعتقد أن تلك الكراهية تولدت عن ظروف خاصة بزواج أمها التى كانت تدرس بالمدارس الفرنسية وأجبرت على إنهاء دراستها والزواج من أبيها وهو عالـم من علماء الأزهر ، فتقول « حين ولدتها أمـها «تقصد والدتها ـ لم تنطلق الزغـاريد ، أصبح وجه أبيها كظيـما ، كان يريدها ذكراً يحمل اسمه واسم أبيه.

كرهت أباها وأمها وجدتهـا وكل النسوة ، لم تشأ أن تكون مثلهن راكدة في البـيت لم تحلم بالزواج أو فستان الزفـاف، كانت تحلم وتحلم أنها تطير في السماء ، تركب الخـيل والطائرة ، تعزف الموسيقى وتؤلف الألحان ، أخرجها أبوها من المدرسة بالعصا ، كانت في السادسة عشرة من عمرها ، زوَّجها لأبي ، عاشت حياتها ما بين المطبخ وغرفة النوم، ولدت تسعـة من الأطفال ثم ماتت في ريعان الشـباب ويدها في يدي، اتسعت عـيناها لحظة الموت بالدهشة الطفوليـة كأنما عادت إليهـا الذاكرة فجأة.

الإيمان بأن الزواج إهانة للمرأة :

لعل هذه الأحداث أدت إلى أفكار شاذة عن الأمومة والزواج، فها هى تقول :

« من نشوء العـبودية قـامت فكرة سمو الذكـر على الأنثى، على

---

(١) عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر ، ص٣٤٢ .

التضحية بالأم من أجل أن يكتسب ابـنها الرجولة أمى الدور الاجتماعى والثقافى والسياسي المذكر .

لكن الأمومـة قسمان : الولادة وهى عـمل من أعمال الطبيـعة ، ورعاية الطفل وهى عمل من أعمال المجتمع والقيم الثقافية السائدة[١] .

كمـا تقول : « أصبـحت المرأة حين تتزوج تحـمل اسم الزوجة أو الرقيقة وتعنى العبدة ، وجمعها فى اللغة الرقيق »[٢] .

اعتراض د. نوال على اجراءات عقد القران وصيغته :

إن عقد الزواج فـى كل الأديان والتقاليد الاجـتماعية الإنسـانية له قدسيتـه ، وله أصول لا يمكن هدمها ، كما أن مناسبـة مفرحة للقلوب مبهجـة للأهل والأصدقاء ، يحتفى بها وتقام الأفـراح والولائم احتفالاً بها ، وفى مناسبـة عقد قران د.نوال السعداوى نرى أمـراً آخر شاذاً لم يألفه الناس ومن ذلك .

الاعتراض على المهر :

تقول عن المأذون : « . . . الرجل العجوز على رأسه عمامة بيضاء كبيـرة ينظر إليه نظرة احترام بالغـة » عريسها ويستـمع إليه ، ولا يرانى ولا يسمعنى كأن وجودى لا شىء من أمام عينيه . . فى يده قلم وأمامه

---

(١) توأم السلطة والجنس : ص١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ص٥١.

دفتر مسطر كبير .

ـ كم المقدم يا سيدى وكم المؤخر ؟

ما هذه الألفاظ الكئيبة التى تخرج من بين شفتيه اليابستين؟

مقدم ؟ مؤخر ؟ أهل هو الذى سيدفع لى ليتزوجنى ؟ وهو الذى لا يملك ما يمنحنى إياه ؟

ونظرت إلى الشيخ فى استعلاء وقلت له : اكتب لا شىء ونظر إلىَّ الرجل فى استنكار شديد ، كيف تتكلم امرأة في حضرة الرجال !!

وقال بلهجة العلماء ؟ العقد يصبح باطلاً .

وسألته لماذا ؟

قال: الشرع أمرنا بهذا .

قلت : أنت لا تعرف الشرع فقفز الرجل من مقعده وقفزت عمامته من فوق رأسه فأمسكها بكلتا يديه صائحًا : أستغفر الله ! أستغفر الله![1] .

بلل الشيخ المعمم أصابعه بطرف لسانه وغمس القلم فى الحبر

---

(١) مذكرات طبيبة ص:٦٥ ، ومن الغريب أن ابنة عالم الدين الأزهرى لا تعرف أن المهر هو تكريم للمرأة وإعلاء لشأنها وأن الله فرضه فى كتابه الكريم فقال : ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء:٤] ، كما قال جل شانه : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ... غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].

وبسمل وحوقل واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وشمر كمه الواسع ثم كتب قسيمتى الزواج ومد لى يده بإحداهما وقال :

وقعى بإمضائك هنا .

وقلت له فى عناد : دعنى أقرأها كلها أولا .

ونظر إلى فى غيظ وترك لى الورقة أقرأها . .

ووقعت عيناى على كلمات غريبة تشبه الكلمات التى تكتب فى عقود إيجار الشقق والدكاكين وقطع الأرض الزراعية . .

إنه فى يوم كذا . . بحضورى وعن يدى أنا فلان . . مأذون الجهة كذا . . التابعة لمحكمة كذا . . للأحوال الشخصية . . تزوج فلان . . فلانة . . على صداق قدره كذا . . الحال منه مبلغ . . والمؤجل منه مبلغ . . زواجًا شرعيًا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بإيجاب وقبول شرعيين صادرين من الزوج المذكور وذلك بعد تعريفهما المعرفة الشرعية والتحقق من خلو الطرفين من كل مانع شرعى ونظامى والتحقق أيضًا أن الزوجة ليس لها معاش أو مرتب بالحكومة وليس لها مال يزيد على مائتى جنيه بشهادة كل من فلان . . . وفلان . . .

أمسكت الورقة بكلتا يدى لأمزقها لكنه أخذها منى ورأيت فى عينيه نظرة الضعف والاحتياج التى تجعلنى أخجل من التمرد عليه وأترفع عن عصيانه وقال فى هدوء :

ـ إنه إجراء شكلى ليس إلا . . .

ـ ووقعت باسمى على العقد .

وكأنما وقعت على شهادة وفاتى . . .

اسمى الذى تفتحت أذنى على سماعه وارتبط فى عقلى الواعى والباطن بوجودى وكيانى أصبح ملغيا . . ووضع اسمه على غلافى . .

وجلست إلى جواره . . أسمع الناس وهم ينادوننى باسمى الجديد، فأنظر إليهم وإلى نفسى فى دهشة شديدة كأنهم لا ينادون على أنا . . . كأننى مت . . . وتقمصت روحى امرأة أخرى تشبهنى وتحمل اسمًا غريبًا . .

عالمى الخاص . . حجرة نومى . . لم تعد حجرتى وحدى . . وسريرى . . الذى لم يكن يشاركنى فيه أحد . . أصبح هو يشاركنى فيه . . . كلما تقلبت أو تحركت ارتطمت يدى برأسه الخشن أو بذراعه أو ساقه اللزجة . . وصوت أنفاسه إلى جوارى يملأ الجو من حولى بالعويل . . لا شىء يربطنى بهذا الرجل وهو مغمض العينين . . لا شىء أراه فيه إلا جثة هامدة كتلك الجثث التى رأيتها فى المشرحة .

ولكن إذا ما فتح عينيه ونظر إلى بنظرته الضعيفة المستجدية التى تثير أمومتى وتخمد أنوثتى أشعر أنه طفل صغير ولدته من صلب كيانى مكان وفى زمان لا أدرى عنهما شيئًا [(١)] .

(١) مذكرات طبية : ص٦٦ ، ٦٧ ، أندهش من اعتراض د : نوال على كتابة عقد القران فى وثيقة أى ورقة بشروط ، ونسيت أن شهادة الطب ورقة ، والدستور يثبت على ورق وحياتنا كلهما ورق فى ورق ، فدليل الإثبات هو الورق !!

ندمها على الزواج :

طلب منها زوجها اعتزال العمل والبقاء فى البيت فرفضت وتقول نادمة على الزواج :

جلست فى عيادتى ووضعت رأسى بين يدى واعترفت بينى وبين نفسى بالخطأ . . نعم لقد أخطأت ، صدقت كلام الرجل فى الظلام دون أن أرى أعماقه ، غرتنى نظرة الضعف والاحتياج ولم أعرف أن الإنسان الضعيف يخفى تحت جلده عدداً من العقد والصفات الدنيئة التى يترفع عنها الإنسان القوى ، نعم لقد أخطأت . . عصيت قلبى وعقلى وطاوعت الرجل ووقعت على عقد الزواج الذى يشبه عقود الشقق والدكاكين . . .

ألم أجعله بهذا العقد الغريب صاحب السلطة على ؟

ألم يجعله هذا العقد زوجى ؟ [1] .

هذه الكلمة التى لم أنطقها أبدًا ! زوجى ! ماذا تعنى لي كلمة زوجى؟ هذا الجسد السميك الذى يحتل نصف السرير ، هذا الفم الواسع الذى يأكل ويأكل . . هاتان القدمان المفلطحتان اللتان تلوثان الجوارب والملاءات . . هذا الأنف الغليظ الذى يؤرقنى طول الليل بالشخير والصفير . .

---

(١) عقد الزواج يترتب عليه حقوق والتزامات على الزوج والزوجة وليس حقوقًا للزوج فقط .

ولكن مــاذا أفـعل الآن ؟ هل أحـمل علـى كـاهلى وزرى خطئى وأعيش معه إلى الأبد . . .

ولكن كيف أعيش معه ؟ كيف أتحدث إليه ؟ كيف أنظر فى عينيه؟ كيف أترك له شفتى ؟ كيف أمتهن روحى وجسدى معه ؟

لا . . . لا . . . إن الخطأ الذى وقـعت فـيـه لا يسـاوى كل هذا العقاب. . . لا يساويه !

كل الناس تخطئ . . الحياة تشتمل علي الخطأ والصواب [١] .

التفكير فى اللذة المحرمة ـ الجنس ـ وسيطرتها علي وجدانها[٢]:

« بالرغم من كـراهيته د. . نوال لأنوثـتها والأنوثة بصـفة عـامه، وأيضا بـغضهـا للذكورة ، وتأفـفهـا من الزواج ، إلا أن الفكر الجنسى الطبيعى قد سيطر على أحلام ووجدان د. نوال ، فهى تقول :

في طفـولتي المبكرة ، لم أعـرف ما هي الرذيلة ، قـال أبي : إن الشيطان مسئول عنها واسمه إبليس ، أصبحت أراه في الحلم على شكل رجل يهمس في أذني باللذة المحرمـة ، التي تحولت إلى ألم يرتبط على نحو مـا بالعضو المبـتور بالموس في جسـدي ، كنت أرى الله أيضًا في أحلامي على شكل رجل يـحذرني من إبليس ، لم أعرف كـيف أفرق

---

(١) مذاكـرات طبيبـة : ص٧١ ونحن نتعـجب لم تكره د. نوال الزواج والزوج وتزدرى العلاقة الزوجـية التى تقوم أساسًـا على الاستمتاع المتبادل بين الرجل والمرأة، وليس استمتاع الرجل فقط ؟!

بين الله وإبليس ، كلاهما أراه في الحلم على شكل الرجل[١] .

وهذا التناقض أدى إلى تأخر نضجها الأسرى والعاطفى ، فهى تقول أنها تألمت جدًا لمريض يعانى من شدة المرض ، ولكنه شجعها بقوله : لا تبكى يا دكتورة ، فكان لهذه الكلمات قوة السحر الذى أعادها للحياة وتعبر عن ذلك قائلة :

وعدت إلى بيتى وأهلى وعيادتى ، فتحت زراعى للحياة وعانقت أمى ، ولأول مرة أحس أنها أمى ، وعانقت أبى وفهمت معنى أبوتى . . . وعانقت أخى وعرفت شعور الإخوة ، وتلفت حولى أبحث عن شيء . . شيء لا زال ينقضى . . . عن أحدٍ لا زال غائبا عنى . . من هو ؟ [٢] .

رغبتها فى العلاقات العاطفية:

وعلى ذلك فقد نديت أشد الندم على ما ضاع من عمرها بلا تجارب عاطفية أو جنسية فتقول :

« خمس وعشرون سنة مضت من عمرى دون أن أشعر لحظة واحدة أننى امرأة ! دون أن يخفق قلبى مرة واحدة لرجل! دون أن تمس شفتى تلك الأعجوبة التى أسمها القبلة ! دون أن أعرف تلك الفترة الملتهبة من عجز الإنسان . . . المراهقة . .

---

(١) عمل المرأة بين الأديان والقوانين . . ص٣٣١ .

(٢) مذكرات طبية : ص٥١ .

ضاعت طفولتى فى صراع ضد أمى وأخى ونفسى ، والتهمت كتب العلم والطب مراهقتى وفجر شبابى ، وهأنذى الآن طفلة فى الخامسة والعشرين من عمرها ، طفلة تريد أن تجرى وتلعب وتنطلق وتحب [١] .

ومن ثم التهب الخيال الجامح والندم الصارم على ضياع سنوات الشباب دون تجارب ، فبدأ الخيال يشتهى والأماني الجنسية تشتعل فتقول . .

« حنين جارف عنيف يهز روحى وجسدى . . حنين روح ظامئة للحب أطلق العقل سراحها ، حنين جسد بكر انطلق لتوه من زنزانته الحديدية . . ترى ماذا يكون اللقاء بين المرأة والرجل . . الليل أصبح طويلاً ، والأوهام والخيالات تعشش كل ليلة حول سريرى . . .

أحاديث البنات فى المدرسة تطغى على سطح ذاكرتى . . . التنهدات . . الشهقات ، أحلام المراهقة . . لعلى أنوثتى خرجت من زنزانتها عنيفة جامحة . . [٢] .

هذا وقد غلبها هذا الشعور وعنت التجربة :

« تقول أنها عملت مع طبيب ليلاً ، واتفقا على أن ينام الساعات الست الأولى من الليل وهى الست الأخرى ، وتقول عن شعورها :

---

(١) المرجع السابق : ص٥٠ .

(٢) مذكرات طبيبة : ص٥٢ .

«فكرت من حيث لا أدرى أننى أجلس وحدى فى منتصف الليل مع رجل لا يفصلنى عنه إلا باب حجرته المغلق . .

جاءتنى هذه الفكرة وأنا يقظة مفتوحة العينين كوهم من أوهام الليل، فشعرت بالخوف . لا . . ليس الخوف . . ولكن القلق لا . . ليس القلق . . ولكن الرغبة . . لا ليست الرغبة . ولكنه شعور مزعج غريب أرغم عينى على اختلاس النظر إلى الباب المغلق من حين إلى حين[1] .

رغبتها الجامحة فى مزاولة الجنس ولو دون زواج :

تقول د. نوال السعداوى : « ويدأ الطيف الذى أرق ليالى صباى يزورنى ، والليل عاد طويلاً . . سريرى أصبح واسعًا. الوحدة لم تعد ساحرة .

. . وهذا العملاق الراقد فى أعماقى ؟ ماذا أفعل به ؟ هل أتركه يعيش فى حرمان إلى الأبد ؟ أم أحاول أن أرضيه ؟ ولكن كيف أرضيه وهو يفضل أن يعيش فى حرمان كامل دائم على أن يرضى إرضاء ناقصًا . . نعم . . أريد رجلاً كاملاً كما فى خيالى ، وأريد حبا كاملا كما فى أعماقى ولن أتنازل عن شىء كما أريد مهما طال بى الحرمان.

قررت أن أبحث عنه فى كل مكان :

ألم يكفهم ما ضاع من عمرى ؟ وماذا هم يريدون ؟ أيريدون منى

---

(١) مذكرات طبيبة : ص٣٦ ، ٣٧ .

أن أضع يدى على خدى وأنتظر فى عـقر دارى حتى يأتى أى رجل من أى شارع ويشترينى كما تشترى البقرة ؟

أليس من حقى الطبيعى فى الحياة أن أختار رجلى ؟

وكيف أختاره ؟

من بين النساء ؟ أم من بين صور الكتب ؟ أم أختار الرجل الواحد الذى يختارنى ؟

أليس من الضرورى أن أبحث عنه بين الرجال ؟ وكيف أبحث عنه إذا لم أتـنقل هنا وهناك أنظر فى وجـوه الرجال وعـيونهم.. واسـمع أصواتـهم وأنفاسـهم .. وألمس أصابعـهم وشواربهم.. وأكـشف عن أعماق قلوبهم وعـقولهم ؟ هل يمكن لى أن أعرف رجلى فى الظلام أو من وراء الشيش أو من على بعد كيلو متر ؟

أليس من الضرورى أن أراه فى النور ؟ وأختبره وأعرفه؟

أليس من الضرورى أن تسبق التجربة المعرفة ؟ أم أنهم يريدون منى أن أقع فى الخطأ مرة أخرى ؟

كان لا مفـر لى من أن أخوض التجربة .. أخطر تجـربة فى حياة المرأة.. تجربة اختيار الرجل.. تجربة البحث عن الحب ...

.. لو أغلقت على أربعة جدران عالية مع رجل لا أريد أن أعطيه لمسـة واحدة من يدى فلن أعطـيه ، وإذا أردت أن أعطى الرجل نفـسى فسوف أعطيها له أمام العالم دون تلصص أو اختلاس ...

إن إرادتى هى التى تحكمنى وليس المكان أو الزمان أو الناس[١].

مزاولتها الحب والغرام دون زواج :

تقول أنها قابلت أحد كبار الفنانين ، وتمت بينهما مداولات ومناقشات وعدة لقاءات ، طلبته تليفونيا وأخبرته أنها تود بقاءه فى بيتها، حيث أعدت الزينات والمأكولات من حلويات شهية واستقبلته وقلبها يدق وكان من حوارهما :

« . . . عشت فى حرمان دائم .

ـ الحرمان يجعل أوتار أعصابنا مشدودة نستطيع عليها العزف، أما الإشباع فيجعلها ترتخى فلا تخرج لحنًا .

ومما قالته عن لقائهما معا :

« كان يكلمنى . . . وكان ينظر فى عينى دائما . . لم أره مرة ينظر إلى ساقى . . لم أره مرة يختلس النظر إلى صدرى . .

جلست إلى جواره أنظر إلى أصابعه الطويلة الذكية وهى تمسك بريشة الكمان فى ثقة وبراعة ، والأنغام تترامى إلى أذنى عالية هابطة. . وقلبى معها دقة بدقة . . .

ونظرت إليه . . .

ـ أين كنت هذه السنين ؟

---

(١) مذكرات طبيبة : ص٧٦ .

ـ كنت أبحث عنك .

ـ وكانت لك تجارب .

ـ بالطبع

ـ وأنت ؟

ـ بالطبع .

ـ بالتجربة وحدها نتعلم .

وسمعته يقول بصوته الدافئ: أحبك ، فشعرت بكل شيء فى كيانى يغوص إلى أعمق بعد فى نفسى ثم يرتفع فجأه إلى أعلى قمة منها. . وابتسم . . وقطع الخطوة التى بيننا في لحظة وأخذنى بين ذراعيه . . ووضعت رأسى على صدره .

فلم هذه الدموع ؟

ـ أحبك .

وضمن إليه . . ضمنى حتى ضاع كيانى فى كيانه ، وتلاشى وجوده فى وجودى (١) .

آراء د. نوال السعداوى وعدم إيمانها بمفهوم العذرية والشرف:

الحقد على الذكور ترسب فى ذهن د. نوال منذ الطفولة ، حتى

---

(١) المرجع السابق ، ص١٠٣ ، ١٠٤ .

إنها حقدت على الذكور لعدم وجود غشاء بكارة لهم ، فتقول:

في الثالثة عشرة من عمري ، كنت تلميذة بالمدرسة الثانوية في حلوان ، طلب منا أحمد أفندي مدرس اللغة العربية أن نكتب شيئًا من الذاكرة في كراسة الإنشاء ، كانت ذاكرتي الطفولية قد اندثرت تحت اسم المحرم ، الجنس أو الدين ، نسيتهما مع أحداث طفولتي بما فيها الحب الأول ، وأنا في العاشرة من العمر ، ومفهوم الشرف يتعلق بغشاء خلقه الله في أجساد البنات فقط ، لم يخلقه في أجساد الأولاد، لأنَّ الذكور ليس لهم شرف يتعلق بشيء في أجسادهم [١].

ولا شك أن عملها كطبيبة جعلها ترى الكثير من حالات هتك العرض سواء برضا المرأة أو بغير رضاها ، والمرأة دائمًا هي الضحية ، ومن هذه الأحداث التي ذكرتها :

« خادمة صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها ، جاءت إلى عيادتي تطلب مني إجهاضها ، لم يكن للطفلة الحامل سفاحًا أن تعود إلى أبيها في القرية فيقتلها ، لقد اغتصبها في ظلمة الليل سيدها البيه العجوز[٢]، وطردتها سيدتها خوفًا من الفضيحة وحماية لرجل العائلة الكريمة .

---

(١) عمل المرأة بين الأديان والقوانين . . . ص٣٣٥.

(٢) لو أن الشريعة الإسلامية تطبق كما أمر الله لكان جزاء الوالد ـ لو قتلها ـ القصاص والمغتصب عليه حدّ الحرابة ليكونا عبرة للمجتمع ، فالبنت لو أجبرت على الفاحشة فلا عقاب عليهما .

وكتبت في « مذكـرات طبية » تقول : كيف لا أنقذ هـذه الضحية البـريئة والمجتـمع يطلق سـراح الجاني ؟ حين دخلت الطـفلة عيـادتي تذكرت طفلة تشـبههـا كانت خادمـة في بيت جدي ، طردتهـا خالتي فهيـمة من البيت ، أخذتها إلى القطار وعـادت بدونها ، لم أعرف هل قتلها أبوها أم ألقت نفسها في الـنيل ؟ كنت طفلة صغيرة وعجزت عن إنقاذها، وفتاة أخرى عجزت عن إنقاذها في القرية ، وأنا طبيبة بالوحدة الصحية عام (١٩٥٧) ، رأيتهم يتشلون جثتها من النيل في يوم رمادي أغبـر ، وحين جاءتني تلك الخادمـة إلى عيادتي قررت إنقـاذها ، كان الإجهـاض ممنوعًا في القانون ، وفي نقـابة الأطباء نقسم عند التـخرج القســم الموروث منذ أبقراط : « وألا أجـهض حامـلاً»، وطلبت تغيـير القسم، وإلغاء هـذه العبارة ، واستبـدالها بعبارة أخرى نقـسم بها نحن الأطباء « ألا نستأصل من جـسد الطفل الذكر أو الطفلة الأنثى أي جزء سليم تحت اسم الختان » ، ورفض أطباء النقابة طلبي بالإجماع.

الازدواجيـة في القوانين هي القـاعدة ، والعـدالة عمـياء ، فـهذا الرجل الكبـير الذي اغتـصب الفتـاة تسقط عنه التـهمـة ولا يعاقب إن تزوجها، هكذا يكافىء القـانون الرجل المغتصب بالزواج من البنت التي اغتصبها ، ويعطيه القـانون الحق في تطليقها في أي وقت يشاء ويخرج من الجريمة بريئًا طاهر الذيل ، أمـا الفتاة فهي تروح ضحـية جريمتين : الاغتصاب والزواج بالرجل الذي اعتدى عليها ، ثم الخروج إلى الشارع بعـد الطلاق لتمـارس البـغاء أو تعـود إلى الخـدمة بالبـيـوت لتعـيش

الاغتصاب مرة أخرى .

عندما أصبحت أستاذة للإبداع الأدبي في جامعة « ديوك » في ولاية نورث كارولينا ، كنت أطلب من الطلبة والطالبات أن يكتبوا عن طفولتهم ، وفي نهاية العام كتبت شابة عمرها عشرون عامًا قطعة أدبية جميلة من السيرة الذاتية ، تذكرت أنها في السادسة من عمرها تعرضت لحادث اغتصاب ليلة الكريسماس ، وارتبط مولد المسيح في ذاكرتها بحادث الاغتصاب الجنسي ، إلا أن الفاعل ظل مجهولاً ، في الليل حين تنام يأتيها على شكل رجل له لحية طويلة يشبه بابا نويل ولم تعرف ما هي الهدية ، إلا أنه يهمس في أذنها بصوت رقيق : سوف تحملين بالمسيح ليكون ابن الله الذي ينقذ العالم من الظلم !

قرأت هذه القطعة على الطلبة والطالبات في نهاية العام، وتشجع الجميع ، لم يعد الاغتصاب في الطفولة مبعث خزي أو عار ، إنه حدث عام ، يحدث لأغلب الأطفال ذكورًا وإناثًا ، وكان في الفصل طلبة وطالبات من القارات الخمس من آسيا وأفريقيا وأوربا وأستراليا والأمريكتين ، رغم اختلاف الأديان واللغات والثقافات إلا أن المحظورات الدينية والجنسية فى الطفولة متشابهة ، ينسى الأطفال حوادث طفولتهم [١] .

« ولكن حسب القيم الموروثة فإن المرأة هى التى تفقد شرفها أو

---

(١) نقلاً عن عمل المرأة بين الأديان للمؤلف ص ٣٤ .

عذريتها ، فالرجل ليس له عذرية ولا أحد يحاسبه على فساده الجنسى أو الأخلاقى قبل الزواج أو بعده ، لقد أصبح مقياس الشرف منذ نشوء الرق هو عذرية البنت ، أو غشاء البكارة ، رغم أن عدداً غير قليل من البنات « حوالى ٣٠٪ » يولدن بغير غشاء بكارة ، وأن نسبة أخرى يولدن بأنواع مطاطة من الغشاء ولا تنزف ليلة الزفاف ، لكن النظام فرض هذا القياس الواهى للشرف كإحدى وسائل القمع الجنسى للنساء من أجل تأكيد الأبوة [(١) (٢) (٣)] .

كما تقول :

« إن مفهوم العذرية لم يعد مقدسًا وأصبح قابلاً للجدل والنقاش إلا أننى أعتقد أن الأمر يحتاج إلى مزيد من النقاش العلمى والأدبى على حد سواء ، فالأعمال الأدبية الإبداعية قادرة دائمًا على السبق فى ميدان البحث عن القيم الجديدة التى تكفل للإنسان الفرد « الرجل أو المرأة » والمجتمع كله حياة أكثر سعادة وحبًا وصدقًا وعدلاً وحرية»[(٤)] .

(١) توأم السلطة والجنس ، ص١٧ ، ١٨ .

(٢) مساوئ تحرر المرأة فى العصر الحديث ، ص٢١١ .

(٣) تحاول الكاتبة التهوين من المحظورات الجنسية والادعاء بأنها تزاول في الطفولة كما في البلوغ ولا يجب اعتبارها خطيئة ، ويجب التفرقة بين الاغتصاب ومداعبات الطفولة.

(٤) ربما كانت الحكمة من وجود غشاء بكارة للنساء ضرورة الحرص الشديد على العفة حيث إن مضار الزنا بالنساء يفوق الرجال ؛ لاحتمال الحمل واختلاط الأنساب.

عداء د. نوال للحجاب والدعوة بنبذه :

منذ طفولة د. نوال وهى ترى أن الحجاب قيد على الفتاة ، فهو يقيد حرية الفتاة فى اللهو واللعب بل والحركة والحرية الشخصية، فتقول:

« أخى يلعب . . يقفز . . يتشقلب . . وأنا إذا ما جلست وانحسر الرداء عن سنتيمتر من فخذى فإن أمى ترشقنى بنظرة مخلبية حادة فأخفى عورتى ، وكانت أمى تقول لى أن البنت يجب ألا تضحك بصوت عال يسمعه الناس . . . عورة !

كل شىء فى عورة وأنا طفلة فى التاسعة من عمرى !

حزنت على نفسى . . بكيت على أنوثتى قبل أن أعرفها فتحت عينى على الحياة وبينى وبين طبيعتى عداء» [١] .

« كرهت أنوثتى . . أحسست أنها قيود . . قيود من دمى تربطنى بالسرير فلا أستطيع أن أجرى وأقفز . . قيود من خلايا جسمى أنا . . تسلسلنى سلاسل من الخزى والعار . . . لم أعد أجرى لم أعد ألعب . . » [٢] .

وتقول: إنها سكنت فى قرية نائية . . وجلست وحيدة مع نفسها

---

(١) مذكرات طبيبة : ص ٥ ، ٦ .

(٢) المرجع السابق : ص٨ .

وفكرت « كيف استطاعت أمى أن ترسب فى نفسى ذلك الإحساس البغيض بأن جسدى عورة ؟ إن الإنسان يولد عاريا ويموت عاريًا، وما تلك الأثواب التى يلبسها إلا زيف يحاول أن يغطى به حقيقته، وتركت الهواء يرفع عنى أردتينى . . وأحسست فى تلك اللحظة إنى ولدت من جديد وولدت معنى عاطفتى (١) .

كما تقول :

« وتنبهت . . هذا هو جسدى الذى حكمت عليه يومًا بالإعدام. . جسد المرأة الأنثى الذى ذبحته ذبحًا عند قدمى إله العلم والعقل. . ها هو جسدى تدب فيه الحياة من جديد. . ضيعت طفولتى وصباى وفجر شبابى فى عراك عنيف . . ضد من ؟ ضد نفسى . . ضد إنسانيتى. . ضد غريزتى » (٢) .

هذا وقد أثرت تلك الأحداث على نظرتها للحجاب ، فلم تر أنه

---

(١) مذكرات طبيبة ص٤٦ ، ٤٧ . الإنسان يولد عاريًا ثم يلف فى أردية ويموت عاريًا فيكفن في أردية ، والملابس نعمة إلهية : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

(٢) المرجع السابق : ص٤٤ ومن الواضح أنها ندمت على سنوات العفة وتمنت الانطلاق نحو الحرية العاطفية والجنسية .

تشريع دينى أو أدب خلقى رفيع ، ومن ثم نادت بنبذه ومن أقوالها:

« فكرة حجاب المرأة بدأت فى التاريخ البدائى القديم لأسباب صحية وقائية ثم اكتسبت على يد اليهود صفة دينية »[١] .

« إن فكرة عزل المرأة ـ عدم الجماع معها فى الحيض ـ اتخذ شكلاً دينيا وتطور من عزل المرأة إلى فرض الحجاب عليها ، واتخذ هذا الحجاب شكل تغطية رأس المرأة أساسا ، مع أن الرأس ليس عورة وليس عضوا جنسي[٢] [٣] .

« أما هؤلاء الذين يتصورن أن شرف المرأة لا يصان إلا إذا حبست فى البيت أو فرض عليها دور معين فى الحياة أو فرض على عقلها أو جسدها الحجاب ، فهو أيضًا منطق يحتاج إلى مناقشة لأن الشرف الإنسانى أولاً هو أن يكون للإنسان عقلٌ يفكر به بحرية وبغير قيود أو أحجبة سواء كان هذا الإنسان رجلاً أو امرأة »[٤] .

---

(١) توأم السلطة والجنس ص:٢٥ .

(٢) عزل النساء عن الرجال ـ عدم الجماع ـ عند الحيض ، أثبت العلم صحتها فهى حماية من الأمراض وطهارة للبدن .

(٣) معلوم أن الرأس به الكثير من مواضيع الجمال والفتنة ، الشعر والعيون والشفاه والرقبة .. الخ » .

(٤) توأم السلطة والجنس : ص١٢٥، ١٢٦ .

كما ترى أن سبب فرض الحجاب فى استعباد الرجل للمرأة:

« ومن هنا - تقصد التحكم فى سلوك النساء الجنسى - فرض الحجاب أيضا على المرأة ، حتى لا يراها رجل آخر غير زوجها ، وفى بعض الأحوال يفرض على المرأة عدم الخروج من البيت حتى لا يراها أحد، فأصبح من حق الرجل أن يمنع المرأة من الخروج أو العمل ويفرض عليها الحجاب » [1] .

المطالبة بحرية المرأة الجنسية :

أثمر ندم د. نوال على ما ضاع من عمرها فى العلم والتمسك بآداب العفة لفترة طويلة من عمرها ، الإيمان بضرورة الحرية الجنسية ونبذ آداب الحياء « العودة» والدعوة لهجر الحجاب ، وإطلاق العواطف والمشاعر الجنسية دون ضوابط سوى الرضا النفسى عن الفعل ، ومن ثم المطالبة بالحرية الجنسية للنساء أسوة بالرجال فتقول :

« فقد أدرك الرجل أن أبوته للأطفال لا يمكن أن تكون معروفة ومؤكدة إلا إذا فرض على زوجته ألا تتزوج وألا تمارس الجنس مع رجل آخر غيره ، ومن هنا نشأ النظام الذى يفرض على المرأة زوجًا واحدًا على حين ظل الرجل متحرراً من هذا القيد ، يمارس تعدد الزوجات كما يشاء » [2] .

---

(١) المرجع السابق :ص : ١٣ ، ١٥ .

(٢) توأم السلطة والجنس : ص١٢ .

ولذلك طالبت د. نوال بالسماح بتعدد الأزواج للمرأة أسوة بالرجال وأعلنت ذلك فى كتاباتها وفى لقاءتها بالقنوات الفضائية كما تقول:

حق الرجل فى الحب أو خداع العذراوات يؤدى إلى أن تنهى الواحدة منهن حياتها بيدها خوفًا من الفضيحة ، فالشرف هو حق الرجال ، وإذا كان الجانى، فالمرأة بلا شرف وإن كانت هى الضحية (١) .

وعلى ذلك طالبت بتعديل مفهوم العذرية والشرف فتقول .

« دم العذرية ليس مقياسًا للأخلاق أو الشرف فى معظم الحالات ، والأفضل للمجتمع أن يصلح مفهوم الأخلاق عن أن يصلح أغشيته النبات بالمشرط الجراحى ، فلماذا إذن يتمسك المجتمع بهذا المقياس الواهى والسطحى للأخلاق والشرف ؟!! (٣) .

كما تقول : « الأخلاق الصحيحة تتعلق بسلوك الإنسان اليومى فى العمل والبيت والشارع والمجتمع ، إنها تتعلق بالصدق والشجاعة وعدم النفاق ، ولا يمكن أن تتعلق القيم الأخلاقية بصفات تشريحية أو

---

(١) المرجع السابق: ص٢٣ ، ٢٥ .

(٢) قضايا المرأة : ص٢٠٩ .

بيولوجية يولد بها البشر أو لا يولدون بها »[١] .

الدعوة لنسب المولود لأمه بدلاً من أبيه :

الأديان السماوية الثلاثة تنسب الأبناء ـ ذكور أو إناثًا ـ للوالد «الرجل» ولم يستثن من ذلك سوى نسب المسيح عليه السلام ، حيث نسب إلي والدته السيدة مريم العذراء ، سواء فى الإنجيل أو القرآن الكريم.

وكل شعوب العالم والمجتمعات الإنسانية المتباينة لا تختلف عن هذا ، باستثناء بعض القبائل المتوحشة والبدائية ، التى تتخذ فيها المرأة أكثر من زوج في أن واحد ، أو أن أعمار الرجال منخفضة لقيامهم بالصيد وتعرضهم لمخاطر الإبادة فى الحروب القبلية أو صيد الوحوش إذن الاستثناء هو لضرورة ودليل تخلف .

والدارس لسيرة د. نوال ـ حسب مذكراتها ـ يجد أن هذه الفكرة نشأت منذ نعومة أظافرها ، فهى تقول :

« منذ علمتني أمي الحروف ، عرفت تكوين كلمة ذات معنى هو اسمي ، بدأت أكتبها كل يوم ، أربع حروف متشابكة «نوال» ، أحببت شكل الاسم ومعناه النوال أو العطاء ، ارتبط بي ، أصبح جزءاً مني ،

---

(١) قضايا المرأة : ص٢١٠ والمقصود بالعذرية هو الحفاظ علي الفروج من الزنا : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور:] .

عرفت اسم أمي «زينب» كتبته إلى جوار اسـمي فوق كراستي الصغيرة، أحبـبت شكل الاسمين معًا ومعناهما كمـا أحبب نفسي وأمي ، أكـبر حب في حيـاتي منذ ولدت ، كـان لنفسـي ولأمي ، بعـد ذلك يأتي الآخرون، منهم أبـي ، شطب على اسم أمي ، وضع اسمـه إلى جوار اسمي، ثم وضع اسم أبيه « السعداوي » رجل مات قبل أن أولد[١].

هذا وقـد أوضـحـت د. نوال هى وابنتـهـا فى إحـــدى القنوات الفضائية، أنها تريد أن تكرم أمها بوضع اسم الأم بعد اسمها ، فما هو المانع؟!

ونحن نقول: ألا يعنى هذا أنها تريد أن تسىء إلى والدها؟!

ومما قالتـه أيضًا : إن زوجـات رؤساء الجمـهورية فى مـصر نسبن أنفسـهن لأزواجهن مثل : جيـهان السادات ، وسوزان مـبارك، ونحن نرى أن هذا اتجاه سياسى لأن لحرم رئيس الجمهورية ـ حاليا ـ اهتمامات سياسية واجتماعية وإنسانية بصفتها حرم الرئيس ، وأعتقد أن أسماءهما فى شهادات الميلاد والوثائق الرسمية منسوبة للوالد وليس للرئيس.

وترى د. نوال ومن يتـبع أفكارها أن نسب المولود لأمه هـو عودة

---

(١) مذكـرات طبيـبة : ص١٤ ، فهـذا المطلب يتعـارض مع الأديان السمـاوية والقوانين الوضعية المتميدنة .

في التوراة يُنسب كل المواليد للآباء ، وفي الإنجيل لم ينسـب لأمه سوى المسيح عليه السلام.

للنظام الطبيعى الأصلى « الأمومى » وهو دليل قوة المرأة ومساواتها بالرجل فتقول » .

« اختفى اسم الأم فى المؤسسات الجديدة التى نشأت مع النظام الطبقى الأبوى ، « إنها مؤسسات الدولة والعائلة » فقدت الأم أهميتها وحقها فى منح اسمها لأطفالها أو جنسيتها أو دينها أو لغتها، تحولت المرأة إلى أجيرة بلا أجر تعمل فى البيت [(١)] .

وقد تمادى دعاة عمل المرأة وتحررها فحكموا بحكم العالم، فتقول إقبال بركة :« لو أن هذا العالم يعيش بقلب أم لتغيرت صورته تمامًا، لو احتلت أمهات عروش الدول ومقاعد الرئاسة فيها » [(٢)] .

جاء فى مقال تحت عنوان: قوة المرأة واستقلالها. فى العالم الثالث:

يمكن تعريف القوة بأنها : القدرة على السيطرة على سلوك الغير أو تغييره Misklen and waxler1968 ، وهكذا يمكن تعريف قوة المرأة بأنها قدرتها على السيطرة ، وترتفع مكانة المرأة « قوتها» كلما زاد عدد النساء اللاتى يتساوين مع الرجال فى أمور الحياة وقراراتها من نفس السن والطبقة الاجتماعية وذلك من حيث الطعام والتدريب والوظائف والمرتب والترقى الوظيفى والهجرة . . وملكيته الأراضى وغيرها » [(٣)].

(١) مساوئ تحرر المرأة فى العصر الحديث - للمؤلف ، ص٢٢٧ ، دار الوفاء بالمنصورة.

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرأة والمجتمع ، ص٨٥ ، ٨٦ .

نقض هذه الأفكار:

والواقع أن هذا التفكير العقيم الكاذب الذى لا يستند إلى الواقع أو يساير الحقيقة يخالف كافة الأديان الذى أوضحت أنه منذ بدء الخليقة نسب المولود لأبيه . ولم ينسب لأمه سوى المسيح فقط، وفي القرآن الكريم نهى الله نسب المولود لغير أبيه فقال تعالى : ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

فالإسلام حل مشكلة النسب وجعلها للأب ، وإن لم يُعلم الأب، كأن يكون مغتصبًا هرب ولم يعرف ، أو لتعدد عشاق المرأة من عابري السبيل، فهذا لا يعني ظلم الوليد وامتهان كرامته لذنب لا دخل له فيه ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ فهنا يسمى الولد ابن أبيه ، أما إذا ألحق اسم الولد للأم فإن ذلك سيسبب له مشاكل وعقداً نفسية مستقبلية ، حيث سيعلم أنه ابن غير شرعي لمدة أجيال .

والاعتقاد بأن إلحاق نسب الوليد لأبيه المغتصب يعتبر مكافأة له فهو اعتقاد خاطئ ، فالمغتصب سيلقي جزاءً رادعًا وهو الموت وفقا لأحكام كل الأديان .

الملاحظ أن دعاة التحرر دائمًا يرون أن الذكر هو الجاني، ولا يرون أن الأنثى في الغالب وبنسبة كبيرة هي المشاركة في الزنا ، سواء رضيت

وسعت إليه ورغبت فيه ، أو باسم الحب ارتضت بمزاولته، أو احترقته كمهنة .

وترى د. نوال من اتبع دعواها أن نسب الولد لأمه كفيلٌ بحل مشاكل الزنا والأبناء غير الشرعيين فتقول :

« لقد صرح شيخ الأزهر بإباحة الإجهاض للفتيات فى حالة الاغتصاب ، لكن ما الموقف من فتاة لا تريد أن تعرض نفسها لمخاطر العملية ؟ أو لأنها تريد الاحتفاظ بطفلها ؟! وكيف نبيح لها عليها أن تقتل الطفل لمجرد أن والد الطفل كان مجرمًا مغتصبًا ؟! وكيف يمكن أن يكون لهذا الوالد المجرم الحق فى إعطاء الشرف للطفل لمجرد أنه الأب، وأن الأطفال ينتسبون للأب ؟ . . وكيف تحرم الأم الشريفة من إعطاء اسمها الشريف لطفلها على حين نبيح للأب غير الشريف أن يعطى اسمه للطفل؟!! (١) .

والحقيقة المؤكدة أن دعاة التحرر لا يقصدون حل مشاكل الاغتصاب أو الزنا بالتراضي ، ولكن مقصدهم هو نسب مزايا إضافية للمرأة تحت شعار المساواة الكاملة مع الرجل ، وهذا المطلب هو نتيجة سُعار التحرر .

وقد أوضحت د. نوال ذلك صراحة فقالت : « في معظم بلاد العالم أصبح من حق الأم أن تمنح اسمها لأطفالها ، أصبح الأطفال

(١) قضايا المرأة : ص٢١١ .

يحملون اسم الأب والأم معا ، لم يعد الأطفال يعاقبون بسبب الآباء أو الأمهات ، أصبح من حق الطفل أن يكون شرعيًا في جميع الظروف والحالات ، وأن يحمل اسم أمه وأبيه في آن واحد ، ويمكن له بعد أن يكبر أن يختار اسما واحدًا أو يحتفظ بالاسمين الأم والأب معًا.

يحدث هذا في بلاد إفريقية منها تنزانيا ، وليس فقط في أوربا أو أمريكا ، والمسألة هنا لا علاقة لها بما يسمى الانحلال أو الإباحية ، بل تتعلق بالعدل وحماية النساء والأطفال الأبرياء من الظلم الواقع عليهم بسبب احتكار الرجل لموضوع الشرف والنسب.

كما نود أن نوضح لها أن الإسلام لا يلحق نسب ابن الاغتصاب أو الزنا لأبيه.

سئل فضيلة الشيخ محمد بخيت :

هل ولد الزنا يثبت نسبه من الرجل ولو ادعاه ، فكان الجوب : «ولد الزنا لا يثبت نسبه من الرجل ولو ادعاه ، أما المرأة فيثبت نسبه منها.

كما سئل فضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة :

هل يرث ولد الزنا ؟

فكان الجواب .

١ ـ لا يثبت نسب من ولد من سفاح ولا يرث من الزانى بأمه ما

دامت قد أقرت بزناها منه لانعدام سبب الميراث .

٢ ـ يتوارث هذا الولد مع أمه وأقاربها .

إذن الإسلام لم يكافئ ـ كما تدعى . د نوال ـ الزانى أو المغتصب بنسب ولده من الزنا أو الاغتصاب إليه.

وإذا اعترفت المرأة بأنـها أم ولد الزنا يلحق نسبه بهـا أى يثبت أنها أمه، ولا يعنى هذا أنه يسمى باسمها .

(موسوعة الفتاوى الإسلامية لدار الإفتاء المصرية) .

المطالبة بإلغاء ختان الإناث والذكور :

من المتفق عليه دينيًا أن ختان الذكــور يعد عند اليهود ضرورة دينية تصل لدرجة الفريضة ، وهى عهد وميـثاق بين اليهود وربهم ، فقد قال الرب لإبراهيم : « هذا هو عــهـدى الذى بينى وبـينك وبين ذريتك من بعدك الذى عليكم أن تحفظوه ، أن يخـتن كل ذكر منكم (١١) تختنون رأس قلفة غرلتكم فتكون علامـة العهد الذى بين وبينكم (١٢) تختنون على مـدى أجيـالكم . . . (١٤) أمـا الذكـر الأغلف الذى لم يختن ، يستأصل من بين قومه ، لأنه نكث عهدى» [اللاويين ١٧] .

أمـا ختـان الإناث فليس بفريـضة دينيـه وإن زاوله اليهـود كعـادة اجتماعية ، عن المجتمعات التى خالطوها ، كما أن التجارب أهميته.

وعند المسيحين ختان الذكور سُنة من شاء اتبعها ومن شاء تركها ، أما ختان الإناث فليس بفرض دينـى أو سُنة يجب اتباعها ، وإن زاولها المسيحيون كعادة اجتماعية وفضيلة صحية .

هذا وقد اخـتتن المسيح : « ولما بلغ الطفل يومه الثـامن وهو اليوم الذى ينبغى فيه ختانه دعى اسمه يسوع » [لوقا ٢ : ٢١] .

ولكنه نظرًا لنفور الكثير من لا يرتضون الختان إذا تنصروا فقد ألغى يعقوب الختان : « لذلك أرى ألا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم بل يرسل إليهم أن يمتنعـوا عن نجاسات الأصنام » [أعـمال الرسل ١٥] ومعلوم أن الإسلام يرى فى ختان الذكور سنة عن النبى ﷺ يجب عدم

مخالفتها ، وختان الإناث مكرمة للنساء .

فختان الذكور سنة اقتدى بها الرسول ﷺ بأبيه أبى الأنبياء : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠] .

وختان النساء ورد فى عدة أحاديث منها :

قول الرسول ﷺ لأم عطية : « إذا خفضت فأشمى ولا تنهكى فإنه أسرى للوجه ، وأحظى للزوج » [الحديث عن أنس بن مالك].

ومع ذلك فقد كانت د. نوال من أكبر الداعيات لإلغاء الختان للنساء والذكور على السواء ، ونحن نرى أن مرجع ذلك هو ما عانته أثناء ختانها ـ حسب قولها .

معاناة د. نوال أثناء ختانها :

تقول عن ختانها : « كنت فى السادسة من عمرى نائمة فى سريرى الدافئ أحلم أحلام الطفولة الوردية . . . حينما أحسست بتلك اليد الباردة الخشنة الكبيرة ذات الأظافر القذرة السوداء . . . تمتد وتمسكنى . ويد أخرى مشابهة لليد السابقة خشنة وكبيرة تسد فمى . . وتطبق عليه بكل قوة لتمنعنى من الصراخ . . وحملونى إلى الحمام . . لا أدرى كم كان عددهم ، ولا أذكر ماذا كان شكل وجوههم . . كل ما أدركته فى ذلك الوقت تلك القبضة الحديدة التى أمسكت رأسى وذراعى وساقى حتى أصبحت عاجزة عن المقاومة أو الحركة، وملمس بلاط

الحمام البارد تحت جسدى العارى ، وأصوات مجهولة وهمسات يتخللها صوت اصطكاك شىء معدنى ذكرنى باصطكاك سكين الجزار حين كان يسنه أمامنا قبل ذبح خروف العيد . . أحسست أن هذا الشىء يقترب منى من فخذى ، أدركت فى هذه اللحظة أن فخذى قد فتحا عن آخرهما . . أحسست بالشىء المعدنى يسقط بحدة وقوة من بين فخذى يقطع من بين فخذى جزءاً من جسدى .

صرخت من الألم رغم الكمامة فوق فمى ، فالألم لم يكن ألمًا، وإنما هى نار سرت فى جسدى كله ، وبركة حمراء من دمى تحوطنى فوق بلاط الحمام ، لم أعرف ما الذى قطعوه منى . . مأساة إننا خلقنا من ذلك الجنس ، جنس الإناث الذى يحدد مصيرنا البائس ويسوقنا بيد حديدية باردة إلى حيث يستأصل من جسدنا بعض الأجزاء».

وهذه الجراحة الوحشية [1] ـ كما تصفها د. نوال . جعلتها تعترض على حكمة الله من تشريع الختان فهى تقول .

---

(١) الحجاب والختان والعفة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر ، ص١٨٥/١٨٦ والواقع أنها ليست عملية وحشية أو خطيرة إذا قام بها متخصص سواء طبيب أو غيره ، وهى كجراحة أسهل من خلع ضرس ، وقد عهدناها لا تستغرق سوى دقائق معدودة، وهى لا تمثل أى اعتداء على الأنثى وكرامتها وإنسانيتها لأنها لمصلحتها، كما أنها لا تمثل مصادرة لرأيها وحريتها فى الاختيار ، لأن هذا من حقوق أولياء الأمور، وهل يؤخذ برأى الصغيرة فى دخولها الحضانة أو المدرسة ؟!

وليس للختان كجراحة مضار نفسية تؤثر على البنت ، لأن الختان دائمًا يتم وسط =

قال أبي: إن الله هو الخالق الكامل ، جميع أعماله كاملة ، خلق أجسادنا على أحسن تقويم ، وجاءت الداية بالموس في ليلة مظلمة ، وأنا في السادسة من العمر ، قطعت عضواً من جسدي ، قالت : إنه أمر الله [(١)] ، لم أستطع أن أسأل الله كيف يأمر بقطع عضو خلقه في

= مباهج الفرح والسرور ، وقد ارتبط بالمناسبات الدينية والاجتماعية السعيدة، كالمولد النبوى، الاحتفال بالهجرة النبوية المباركة ، والأعياد الإسلامية كعيد الفطر والأضحى، كما كانت له احتفالات مبهجة وطقوس مفرحة خاصة ، تشمل كافة طوائف المجتمع ، فالصبى يركب الحصان ويرتدى الجلباب الأبيض والعقال، ويزف ويغنى له ، والبنت تقام لها الولائم ويغشى منزلها الأهل والأصدقاء والجيران ، مهنئين داعين بالتوفيق ، محملين بالهدايا ، باذلين الأموال « النقوط» ، فالختان ظاهرة اجتماعية عظيمة ، ومظاهر تكريم الولد والبنت تجعلهما كأنهما فى عُرس ولكن فى الصغر ، وكان الأطفال ينتظرون هذه الفرحة وهذا الاحتفال ، وقد اختتن من أمهاتنا وأخواتنا وجداتنا الملايين ولم يصبن بأى عقد نفسية ، بل كن يتباهين بذكرى يوم ختانهن كذكرى سعيدة محببة .

(١) أوامر الله نافذة بصفته الخالق يقول جل شانه : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦] .والعبرة من قطع الجزء الزائد من العضو هو تهذيب الشهوة ، وليس إلغاءها، لقول الرسول ﷺ لأم عطية ، وكانت خاتنة بالمدينة « إذا خفضت فاشمي ولا تنهكي ، فإنه أسرى للوجه ، وأحظى عند الزوج » « الحديث أخرجه الطبراني» ، لقد اعترضت المؤلفة على طول شعرها ورأت قصه ولم تر في ذلك بأسًا!! فلم رأت الخطأ في تهذيب الرغبة الجنسية ؟!!

أجسادنا ، سألت أبي ، فقال : إن عـملية الختان سنة عن رسول الله، وليست فرضًا ؛ لأنَّها لم ترد في كـتاب الله ، ولم أعرف ما الفرق بين السنة والفرض ، ورقدت في الفراش أنزف بعـد انصراف الداية صاحبة الموس، نزفت أكثر من أسبـوعين ، الألم كالنار التي تحرق بعد الموت، شفـيت بعد ثلاثة أسابيع ، نسـيت الحادث ربع قرن من الزمـان، حتى تخـرجت فى كليـة الطب واشـتغلت طـبيـبـة في الريف ، بدأت أرى الدايات بأمواسهن الملوثة تقطع في أجساد البنات الأطفال ، ينزف الجرح حتى الموت أو يـنزف الدم والصديد ، يتـرك في جسد كل طفـلة عاهة مستديمة [١] .

اعتبار الختان نظام عبودى قمعى :

تقول د . نوال :

« الطاعـة مفـروضة على الزوجـات بقـوة القانون أى قـوة الدولة والسلطة الحاكمة وقوة الدين أيضـا ، وكان لابد من قمع النساء جسديا وعقـليا للخـضوع حـسب نظام الرق والعبـودية ، أصبح اسم الـزوجة

---

(١) الله أوضح لعباده أنه الخبير العليم ذو الحكمة البالغة التي تفوق أفهام البشر الذين من حقهم سؤال أهل العلم عما يجول في خاطرهم من أفكار ، يقول تعالى: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨] ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعـام :١٨] ، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ٨٣] .

والرقيقة» وتعنى العبدة ، وأصبح من حق الدولة أن تقطع بعض أعضائها الجنسية بالقوة والعنف تحت اسم العفة والأخلاق [١].

« انقسم المجتمع إلى أسياد وعبيد ، وتدرجت النساء تحت خانة العبيد مع الماشية والمقتنيات الأخرى ، وقد اكتشف هذا المجتمع البدائى المتخلف أن ختان المرأة لا يسلبها عضوا جسديًا فقط وإنما يسلبها أيضًا القوة النفسية اللازمة للدفاع عن كونها إنسانًا وليس عبدًا [٢] .

---

(١) توأم السلطة والجنس : ص١٣ .

(٢) المرجع السابق : ص٢٢٢ .

الخاتمة

إن الدارس لحياة دعاة التحرر المطلق الذين لا يؤمنون ولا يكتفون بحقوق المرأة التى نظمتها الأديان ، يجد أنهم جميعًا عانوا من أحداث ووقائع أدت إلى كراهيتهم للمجتمع ، واحتقارهم لشرائع الأديان كراهية الدين ورجاله وأحكامه بل وصل الأمر لشكهم فى حكمة الله من تشريعاته ، والبعض لم يؤمن بالله كرب وإله ، مما جعلهم يتجاوزون فى مطالبهم فتحرر النساء حتى خرجت هذه المطالب عن المألوف والشرعى إلى الشاذ والشيطانى ، وتحقق فيهم قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام :١١٢] .

والحقيقة أن الدعاوى الحديثة لتحرر المرأة هى فكر استعمارى وليست أفكارًا وطنية .

ولكن الهدف هو نشر الفتنة الفكرية والجنسية فى المجتمع : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩] .

ونحن نرى أن هذه الدعاوى لن تطول ومصيرها الفناء : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا

وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩] .

وفى النهاية شريعة الله هى التابعة :

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١] .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ زكى على السيد أبو غضة : عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر .

ـ الحجاب والختان والعفة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر.

ـ مساوئ تحرر المرأة فى العصر الحديث ، دار الوفاء . المنصورة.

٣ ـ قاسم أمين : تحرير المرأة ، المرأة الجديدة.

٤ ـ محمد جلال كشك : جهالات عصر التنوير .

٥ ـ محمد عبده : الأعمال الكاملة : تحقيق وتقديم د. محمد عمارة.

٦ ـ مكتبة الأسرة : امرأة مختلفة .

٧ ـ نوال السعداوى : مذكرات طبيبة .

ـ توأم السلطة والجنس .

٨ ـ نبوية موسى : تاريخى بقلمى : مكتبة الأسرة.

٩ ـ هدى شعراوى : مذكرات رائدة المرأة العربية .

الفهرس